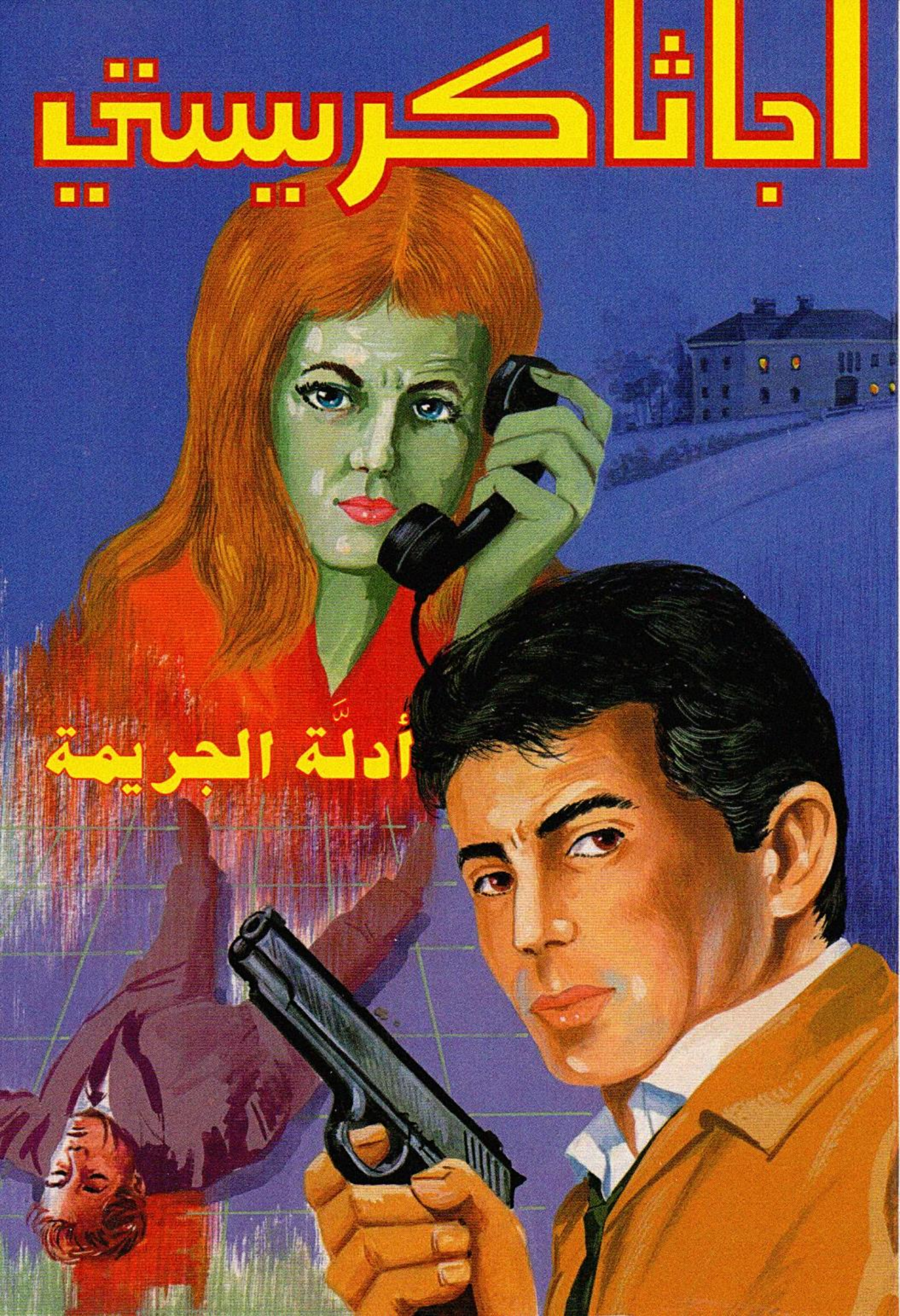

اباثاكريستي
أدلَّة الجريمة

أدلة الجريمة

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

أدلة الجريمة

(4)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

www.darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **وفاء محمد أحمد الخطيب - محمد محمد الجندي**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

سمير غنطوس

- 1 -

الكلب المفقود

– ماذا وراءك اليوم يا آنسة "**ليمون**"؟

كان هذا أول سؤال ابتدر به "**هركيول بوارو**" سكرتيرته وهو يدخل مكتبه!

فأجابته الآنسة "**ليمون**":

– لا أكثر من خطاب واحد ربما يعنيك أمره يا سيد "**بوارو**".. يطلب مرسله إليك البحث عن كلب زوجته المختفي!

ثم تركته قبل أن ترى نظراته العاتبة، وبدأت تعمل على الآلة الكاتبة بسرعة خاطفة. فلم تسمع ما كان يتمتم به من كلمات!

وتناول الخطاب ولم ينته من قراءته حتى تقوست شفتاه، وغمغم بين أسنانه «سرقة كلب تقتنيه سيدة غنية! إنها حادثة عادية.. ولكن ترى هل في الأمر شيء؟».

ثم جلس يعيد قراءة الخطاب بهدوء وإمعان، وهو لا يزال مصرًّا على أنها مسألة عادية، ولكن سرعان ما اعترته دهشة قوية فارتفع صوته على غير وعي منه حتى طغى على ضجيج الآلة الكاتبة.

سمعته الآنسة "**ليمون**" يقول:

– اطلبي السيد "**جوزيف هوجين**" واتفقي معه على موعد أقابله فيه بمكتبه.. فصدعت السكرتيرة الأمينة للأمر!

◆◆◆◆◆

قال السيد "**جوزيف هوجين**":

– أنا رجل بسيط يا سيد "**بوارو**"!

وعلى الرغم من إعجاب "**بوارو**" بتواضع مضيفه وإنكاره لذاته فإن الصورة التي انطبعت في ذهنه تدل حقًّا على أنه رجل بسيط.. فقد كانت عينا السيد "**جوزيف**" صغيرتين كعيني الذئب، وأنفه معوجًّا، وشفتاه مغلقتين. ذكرته هيئته بشخص كان قد رآه في "**بلجيكا**"؛ ولكنه لا يستطيع الآن أن يتبين من هو..!

واستطرد السيد "**جوزيف**" يقول:

– قد يترك كثير من الناس مثل هذه الحادثة تمر وكأنها لم تكن.. ولكنني لست من هؤلاء، أنا رجل غني لا تهمني طبعًا مائتا جنيه فدية لكلب زوجتي العزيزة..

فقال "**بوارو**" بلهجة تشوبها السخرية:

– إذن فلأهنئك!

فصمت السيد "**جوزيف**" لحظةوازدادت عيناه ضيقًا ثم قال بحدة:

– لست أعني طبعًا أنني أبعثر نقودي بغير حساب، ولكنني لا أتردد في دفع أي مبلغ ما دمت أوقن بأنه قد وضع في محله..

– هل تعرف أنني أتقاضى أجرًا عاليًا؟

فنظر إليه السيد "**جوزيف**" بخبثٍ وأجاب:

– نعم. نعم. هذا أمر يسير!

– لست أعرف المساومة؛ لأني رجل إخصائي في مهنتي ويجب أن أتقاضى أجرًا مجزيًا!

فقال السيد "**جوزيف**" بصوت صريح:

– لقد تحرَّيت عنك وعلمت مدى كفاءتك ولهذا استدعيتك لأوكل إليك هذه المهمة. ومهما ارتفع أجرك فلن يعوقني عن تنفيذ غرضي والوصول إلى هدفي!

– إنك لسعيد حقًّا! فإني قررت اعتزال العمل والعودة إلى الريف والطواف

أحياناً حول العالم والعناية بمزرعتي غير أن قضيتك جذبتني لتفاهتها!

– مدهش! لعلك لم تجرِّبْ ضيق السيدات وضجرهن عندما يفقدن كلابهن المدللة؟!

– لقد جرَّبت ذلك ولكن هذه هي المرة الأولى التي يستدعيني فيها الزوج للقيام بمثل هذه المهمة!

وهنا ازدادت عينا السيد "**جوزيف**" ضيقًا وقال:

– لقد أدركت سبب امتداح الناس لك..

– متى اختفى الكلب؟

– منذ أسبوع بالضبط.

– هل رجع إليكم؟

فاحمرّ وجه السيد "**جوزيف**" وقال:

– نعم.

فصاح "**بوارو**":

– إذن ما دوري أنا.. وماذا تريد مني ما دام الكلب قد عاد؟

فقال السيد "**جوزيف**":

– نعم سأروي لك القصة بحذافيرها..

منذ أسبوع خرجت زوجتي ومعها كلبها "**الباكينيز**" وتوجهت إلى حديقة "**كنسنجتن**" حيث سُرِق. وفي اليوم التالي طولبت بمائتي جنيه مكافأة لرده.

– ولم توافق طبعًا على دفع المكافأة؟

– لم أوافق أو بعبارة أصح لم أسترح لتصرف زوجتي التي لم تكاشفني بالحقيقة إلا بعد إرسال المكافأة إلى العنوان الذي حدد لها!

– وهل عاد الكلب؟

– نعم. في نفس ذلك المساء، رنَّ جرس الباب فوجدناه يجلس وحيداً على العتبة.

– حسنًا.. استمر.

– بعد ذلك صارحتني زوجتي بما فعلت فكدت أجن من شدة الغيظ، ولكني تمالكت نفسي إذ لم أجد فائدة من الغضب على شيء مضى. ولعلي كنت على وشك نسيانه لولا أن قابلت صديقي "**صمويل**" في النادي.

– ماذا؟

– لقد وقعت له نفس الحادثة وطلب إلى زوجته أن تدفع ثلاثمائة جنيه، ولهذا قررت أن أضع حدًّا لهذه المهازل فاستدعيتك.

– ولكن الطريق السهل الذي لا يكلفك شيئا هو أن تبلغ البوليس!

– هل أنت متزوج يا سيد "**بوارو**"؟

– لم تتيسر لي هذه السعادة مع الأسف.

– لو أنك نعمت بهذه السعادة لعلمت أن النساء مخلوقات عجيبة. فبمجرد أن ذكرت البوليس أمام زوجتي حتى كاد يطير عقلها؛ خوفًا من أن يصيب كلبها المدلل سوء، ولولا إصراري على استدعائك لما أذعنت!

– الموقف دقيق. فهل توافق على أن أقابل زوجتك؛ لأحصل منها على معلومات أوفى، ولأؤكد لها أن تطمئن في المستقبل على كلبها العزيز؟

فأومأ السيد "**جوزيف**" برأسه بالموافقة ثم وقف وقال:

– إذن سآخذك معي في سيارتي.

◆◆◆◆◆

كانت غرفة الاستقبال فسيحة فخمة الأثاث ينبعث منها الدفء والعطر. وكانت تجلس بها سيدتان. وعندما دخل السيد "**جوزيف**" وصاحبه، اندفع كلب صغير من النوع الثمين نحو "**بوارو**" وراح ينبح بشدة. فأخذت صاحبته تلطف من حدته وطلبت إلى مرافقتها أن تسكته!

فقال "**بوارو**":

– كلب كالأسد، لا يهاب أحداً ولا يخشى شيئًا.

وبعد أن قدمه السيد "**جوزيف**" إلى زوجته تركهما وانصرف.

كانت السيدة "**هوجين**" سيدة ضخمة الجسم، يعلو هامتها شعر أحمر من أثر الخضاب. وكانت وصيفتها أو مرافقتها الآنسة "**كارنابي**" مقبولة الشكل وإن كانت قد جاوزت الأربعين من عمرها!

قال "**بوارو**":

– هل تتفضلين بإخباري عن ظروف هذه الحادثة يا سيدة "**هوجين**"؟

فقالت السيدة:

– أشكرك لاهتمامك الملحوظ بهذه الحادثة التي كان سيذهب ضحيتها كلبي العزيز!

وبعد أن أظهرت الآنسة "**كارنابي**" شيئًا من اللوعة على ما كان سيلقاه المسكين. قال "**بوارو**":

– أريد أن أعرف الحقيقة؟

فأجابته السيدة:

– حسنًا. فقد خرج الكلب للنزهة مع الآنسة "**كارنابي**"..

وهنا قاطعتها الآنسة "**كارنابي**":

– نعم لقد كانت غلطتي. كم كنت غبية ومهملة!

فقالت السيدة:

– لا أريد تأنيبك يا عزيزتي.. فإني أظن أنك كنت ذكية ولبقة. فالتفت "**بوارو**" إلى الآنسة "**كارنابي**" وقال:

– ماذا حدث؟

– شيء عجيب حقًّا، كنا نسير في المنتزه فوق العشب وبين الزهور، وكان "**شانتنج**" الكلب الظريف يتولى القيادة، يجري أمامي حينا، ويقف أحيانا حتى أخذنا نصيبنا من التنزه. وفي أثناء عودتي لفت نظري طفل صغير بوجنتيه

الورديتين، وشفتيه القرمزيتين اللتين انفرجتا عن ابتسامة جذبتني إليه، فوقفت أسأل مربيته عن عمره. فأجابتني بأنه يبلغ الثمانية عشر شهراً. ولم يتجاوز حديثي مع المربية أكثر من دقيقتين. وبعد ذلك تلفت حولي فلم أجد الكلب، وإذا بي أفقد مرشدي ودليلي!

فقالت السيدة:

– لو كنت منتبهة يقظى لما فقدت دليلك..

فاغرورقت عينا السيدة.. ولكن "**بوارو**" استدرك ذلك وسألها بسرعة:

– وماذا حدث بعد ذلك؟

فأجابت الآنسة "**كارنابي**":

– لقد بحثت عنه في كل مكان وطفقت أناديه بأعلى صوتي كمن أصابه مس. ولما يئست سألت حارس المنتزه إذا كان قد رأى أحداً يحمل كلبًا وهو خارج من المنتزه فأجابني بالنفي. وأخيراً عدت آسفة حزينة!

وبعد فترة قصيرة من الصمت قال "**بوارو**":

– وبعد ذلك تسلمتم الخطاب؟

فقالت السيدة:

– وجدت في أول بريد في صبيحة اليوم التالي خطابًا، يقول كاتبه إنني إذا كنت أريد أن أرى كلبي ثانية، فعليّ أن أبعث بورقتين من ذات المائة جنيه بعنوان النقيب "**كورتس**" رقم 38 شارع "**بلومسبوري**" مع تحذيري بأنه إذا وجدت أية علامة بالنقود أو بلغ البوليس أي نبأ فستقطع أذنا الكلب ويفصل ذيله.

فقالت الآنسة "**كارنابي**":

– ما أقسى قلب بني الإنسان!

واستأنفت السيدة حديثها:

– وذكر الخطاب بأني إذا أرسلت النقود حالاً، فسوف يعود إليّ كلبي سليمًا

معافى، أما إذا لجأت إلى البوليس فالقصاص واقع على الكلب لا محالة!

قالت الآنسة "**كارنابي**" بصوت متهدج:

– لا يزال الرعب يتملكني كلما تخيلت أن السيد "**بوارو**" من رجال البوليس!

فأجابها "**بوارو**" :

– ولكني لست من رجال البوليس، وستسير تحرياتي بمنتهى الحذر والهدوء وسيكون كلبك في أمان.

فوقعت كلماته من قلب السيدتين موقعًا حسنًا واستطرد يقول:

– هل الخطاب موجود لديك؟

فأجابت السيدة:

– كلا. لأني أمرت برده ثانية مع النقود.

– هل نفذت ذلك الأمر؟

– نعم..

فقالت الآنسة "**كارنابي**" :

– ولكني محتفظة بسلسلة الكلب ويمكنني أن أحضرها.

وانتهز "**بوارو**" فرصة خروجها من الغرفة ليستأنف حديثه بحرية مع السيدة التي أخذت تقول:

– "**آمي كارنابي**" طيبة وإن كانت لا تخلو من الطيش كسائر أترابها اللاتي عاشرتهن فهن مغرمات كثيراً بالأطفال.. ولكن على الرغم من ذلك فإني كنت أظن أن تفعل "**كارنابي**" مع كلبي أكثر مما فعلت.

فقال "**بوارو**" :

– ولكن مادام الكلب قد فُقد منها فلابد وأن يرتاب المرء في أمانتها. هل قضت في خدمتك وقتا طويلا؟

– استخدمتها منذ عام تقريبًا، وكانت قبل ذلك في خدمة السيدة

"**هارتنجفيلد**" . إذ قضت عندها عشرة أعوام.. وهي شخصية ممتازة.

وعادت الآنسة "**كارنابي**" تحمل السلسلة الخاصة بالكلب وسلمتها لـ"**بوارو**" فأخذ يفحصها بدقة وقال:

– نعم، ولكن السلسلة مقطوعة من غير شك..!

ولبثت السيدتان صامتتين إلى أن قال:

– سأحتفظ بها على كل حال..!

ووضعها في جيبه بكل هدوء.. وتنفست السيدتان الصعداء؛ لأن الرجل لم يفعل أكثر مما كان ينتظر منه.

◆◆◆◆◆

لم يكن من عادة "**بوارو**" أن يدع الأمور تمر من غير أن يمعن في تمحيصها، وإن كانت الظواهر تدل على أن الآنسة "**كارنابي**" امرأة حمقاء إلاّ أن موقفها في هذا الحادث كان يدعو إلى الريبة.. لهذا أصرّ على مقابلة ابنة شقيق السيدة "**هارتنجفيلد**"؛ لأن هذه الأخيرة كانت قد توفيت.

وقالت الآنسة "**مالترافر**":

– "**آمي كارنابي**"؟! نعم أذكرها جيداً! سيدة طيبة. كانت موضع تقدير عمتي "جوليا"! تحب الكلاب، وتجيد القراءة بصوت مرتفع. ماهرة ومطيعة. هل حدث منها شيء؟ لقد أعطيتها شهادة حسنة لتقدمها إلى مخدومتها الجديدة، وكان ذلك منذ عام تقريباً!

فقال "**بوارو**":

– لا تزال الآنسة "**كارنابي**" عند حسن ظنك بها.. ولكن مشكلتها أنها فقدت كلب مخدومتها..!

– الآنسة "**كارنابي**" تحب الكلاب وقد كان لدى عمتي كلب عزيز.. تركته لها بعد وفاتها.. فكانت تحبه وتدلله، وأعتقد أنها حزنت كثيراً لموته.. نعم إنها

سيدة طيبة وإن كانت لا تخلو من حماقة..

وكانت الخطوة التالية لـ"**بوارو**" هي سؤال حارس المنتزه الذي شهد الحادث.. فقال الرجل:

– سيدة بدينة.. فقدت كلبها. إني أعرفها ويمكنني أن أرشد إليها لو رأيتها؛ لأنها دائمة التردد بعد ظهر كل يوم، لقد حضرت وبرفقتها كلبها كالمعتاد.. ولكنها فقدته فجاءتني تسأل في هلع واضطراب عما إذا كنت قد رأيت كلبها، فأجبتها بأن الكلاب تأتي إلى هذا المتنزه بكثرة وعلى اختلاف أنواعها ويتعذر عليّ أن أميز بينها.

فهز "**بوارو**" رأسه ثم ذهب إلى المنزل رقم 38 بشارع "**بلومسبوري**"... وجد الأرقام 38 و 39 و 40 قد وضعت جميعها على واجهة فندق "**بلاكلافا**"!

صعد درج الفندق ثم دفع الباب فانفتح! زكمت أنفه رائحة ملفوف "**كرنب**" وبقايا طعام الإفطار! وجد على يمينه منضدة وإلى جانبها رف لخطابات الزائرين.. فوقف يتأمله لحظة.. ثم دفع بابًا عن يمينه أدى به إلى ردهة بها مقاعد مريحة، مغطاة بقماش الكريتون المنقوش وبضع مناضد صغيرة مبعثرة هنا وهناك!

وكان يجلس بالردهة ثلاث سيدات شمطاوات، ورجل عجوز مقطب الوجه حاد النظر، فرفع الجميع رؤوسهم.. ينظرون إلى هذا الضيف الفضولي..! ولكن "**بوارو**" انسحب بسرعة وسار في ممر طويل إلى حيث تفرع منه ممر آخر إلى الجهة اليمنى، أدى به إلى غرفة الطعام وإلى غرفة أخرى، على بابها لافتة صغيرة كتب عليها "المكتب"..

طرق باب المكتب طرقًا خفيفًا فلم يجبه أحد. فتح الباب فرأى مكتبًا كبيرًا عليه بعض الأوراق، ولكنه لم يجد أحداً..! فانسحب وأغلق الباب ثانية.. ثم دخل غرفة الطعام، وجد بها فتاة بائسة عليها ثوب قذر، وتحمل سلة صغيرة ملأى بالملاعق والسكاكين.. تضع منها ما تريد على المائدة!

قال "**بوارو**" معتذراً:

– معذرة.. هل يمكنني أن أقابل المديرة..؟

– أؤكد لك أنني لا أدري..!

– ألا يوجد أحد بالمكتب؟

– أؤكد لك أنني لا أعرف أين هي؟

– ربما تستطيعين العثور عليها؟!

– حسنًا.. سأحاول!

فشكرها "**بوارو**" وذهب إلى الردهة ينتظر المديرة.. زكمت أنفه رائحة عطر البنفسج معلنة قدوم شخص!

وكانت القادمة هي الآنسة "**هارت**" المديرة.. سيدة أنيقة فيها جاذبية..

قالت معتذرة:

– أنا آسفة لأني لم أكن في مكتبي.. هل كنت تريد غرفة؟

فقال "**بوارو**":

– كلا.. إنني أبحث عن صديقي النقيب "**كورتس**".

– النقيب "**كورتس**"؟! لا أذكر متى سمعت بهذا الاسم؟!

– ربما لم تسمعي به.. ولكن هل يقيم هذا الشخص هنا؟

– أؤكد لك أنه لم ينزل هنا في الأيام الأخيرة.. وإن كان هذا الاسم معروفًا لدي. أيمكنك أن تصف لي صاحبه؟

– من الصعب عليّ أن أصفه. ولكني أظن أن الخطابات تصلكم بأسماء لا وجود لأصحابها عندكم؟!

– قد يحدث ذلك طبعا!

– ماذا تفعلين بمثل هذه الخطابات؟

– نحتفظ بها حتى يأتي أصحابها، وإذا طال عليها الأمد أعدناها إلى مكتب البريد..!فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– آه.. الواقع أنني كنت قد كتبت خطابًا لصديقي..!

فتفرست فيه الآنسة "**هارت**" بحدة وقالت:

– أذكر أني قرأت هذا الاسم بأحد الخطابات.. ولكن نزلاءنا وضيوفنا من رجال الجيش السابقين كثيرون جداً فدعني أبحث!

وراحت المديرة تبحث في مكتبها.. واستدرك "**بوارو**" قائلاً:

– لا يوجد الخطاب عندكم الآن.. وربما رد ثانية إلى مكتب البريد.. أنا آسف ليس الأمر مهما على كل حال!

وانصرف "**بوارو**".. وقالت المديرة وهي تودعه:

– ربما يأتي صديقك هنا في فرصة أخرى!

– لا يحتمل حضوره ثانية.. لقد كنت مخطئًا..!

فقالت المديرة ولا يزال عطر البنفسج ينتشر من ثيابها فيعطر الجو:

– نحن نعد لنزلائنا أثاثًا فخماً ونخدمهم بأمانة ولا نتقاضى سوى أجر يسير مع تقديم القهوة عقب الأكل.. هل تتفضل معي لترى بقية الغرف..؟

ولكن "**بوارو**" استطاع أن يهرب منها بلباقة..

◆◆◆◆◆

كانت غرفة الاستقبال الخاصة بالسيدة "**صمويل**" أكثر اتساعًا وأفخم أثاثًا من غرفة السيدة..! وكانت صاحبتها أكثر طولاً. تصبغ شعرها بمزيج الأكسيجين، أما كلبها المدلل فاسمه "**تاكي بو**"، وقد أخذ يفحص "**بوارو**" بعينيه الواسعتين.. وأما وصيفتها الآنسة "**كيبل**" فتختلف عن الآنسة "**كارنابي**" بنحافة بدنها، وإن كانت تشاركها في بعض الصفات والحركات.. وقد لقيت من السيدة "**صمويل**" من التعنيف لفقد كلبها المدلل ما لقيته زميلتها!

فقالت الآنسة "**كيبل**":

– كانت سرقة كلبنا حادثة غريبة حقًا تمت في ثانية واحدة. سألتني مربية

معها طفل جذاب عن الوقت.

فقاطعتها السيدة "**صمويل**" بقولها:

- وبينما هي تتحدث مع المربية إذا باللص يقطع الطوق ويسرق "**تاكي بو**"..

وقالت الآنسة "**كيبل**" وهي تكاد تبكي:

- كل هذا حدث في أقل من ثانية.. وعبثًا حاولت أن أجده ولا يزال الطوق معي. أتريد أن تراه يا سيد "**بوارو**"؟

- كلا..! ولكنكم بعد ذلك تسلمتم خطابًا؟

لقد سارت تلك القصة في نفس الطريق الذي سارت فيه القصة الأخرى، ولم تختلف عنها إلا في نقطتين ثانويتين: المبلغ ثلاثمائة جنيه. والعنوان "**الكوماندور بلاكلي**" بفندق "**هارنجتون**" رقم 76 بحدائق "**كلونميل كنسنجتن**"!

قالت السيدة "**صمويل**":

- وقد أرسلت المبلغ كاملاً لا ينقص ولا يزيد..

فقال "**بوارو**" مبتسماً:

- وبالطبع لم يكن هناك شخص بهذا الاسم؟

واستطردت السيدة "**صمويل**" تقول:

- ولكن الحادث أزعج زوجي كثيراً!

فقال "**بوارو**":

- لعلك لم تستشيريه قبل إرسال النقود؟

- كلا بالتأكيد.. لأن للرجال طباعًا عجيبة، فهم يتشددون في مواقف يحسن فيها التساهل.. ولو كنت أخبرته لأصر على إبلاغ البوليس.. وبهذا نفقد كلبنا العزيز إلى الأبد.. ولكنني أخبرته في النهاية بعد أن عاد إليّ "**تاكي بو**" سالمًا معافى.

- حسنًا.. حسنًا..!

ثم استطردت السيدة "**صمويل**" تقول وهي تصلح من سوارها الماسي. وتدير خاتمها الثمين في أصبعها:

– ولكنني لم أره في حياتي أكثر غضبًا مما كان في ذلك اليوم؛ لأن الرجال يركزون اهتمامهم في المال.

◆◆◆◆◆

ذهب "**بوارو**" إلى مكتب السيد "**جوزيف هوجين**" وبعث إليه ببطاقته.. وبينما هو في انتظاره إذا بفتاة شقراء تخرج من عنده حاملة بعض الأوراق.. ومرت بجانبه وهي تنظر شزراً..!

كان السيد "**جوزيف**" يجلس إلى مكتبه الفخم وقد ظهر على ذقنه أثر من أحمر الشفاه.. قال لضيفه:

– اجلس يا سيد "**بوارو**".. هل لديك أخبار تهمني؟

فقال "**بوارو**":

– المسألة واضحة جدًّا في حادثكم وحادث السيد "**صمويل**".. نقود ترسل إلى فندقين عامين ليس فيهما بواب أو حارس.. والمترددون عليهما كثيرون معظمهم من رجال الجيش المتقاعدين، ومن السهل على أي فرد من المترددين أن يأخذ ما يريد من الخطابات، أو ينتزع ما بداخلها من نقود ويردها إلى مكانها بعد أن يستبدل بالنقود أوراقًا بيضاء من غير أن يجد عينا تراقبه..!

– هذا معناه أنك لم تستطع الاهتداء إلى اللص؟

– كلا.. ولكن الاهتداء يتطلب بعض الوقت!

فنظر إليه السيد "**جوزيف**" مندهشًا وقال:

– متى ستفيدني بالنتيجة؟

– قريبًا..!

– ولكني أعتقد أنك كلما تعمقت في بحثك استعصى عليك الأمر!

– لا تخف من الفشل؛ لأن "**بوارو**" لا يعرف الفشل..!

فنظر إليه السيد "**جوزيف**" وهو يقرض بأسنانه وقال:

– هل أنت واثق بنفسك؟

– كل الوثوق..

– ولكن تأكد أن الغرور كثيرا ما يسبق الفشل.

◆◆◆◆◆

قال "**بوارو**" لخادمه الخاص "**جورج**" بنبرات تشيع فيها الثقة:

– أفاهم أنت يا "**جورج**"؟

– نعم يا سيدي..

– يحتمل أن تكون شقة أو فيللا في مكان ما.. ويقع هذا المكان بالضبط في جنوب المنتزه، وشرق كنيسة "**كنسنجتن**" وغرب قنطرة الفرسان وشمال طريق "**فولهام**"..

– أفهم ذلك جيداً يا سيدي..

ومضى "**بوارو**" يقول:

– لغز عجيب حقًّا يحتاج حله إلى مهارة فائقة.. هل أستطيع أن أبهر زبوني بعبقريتي الفذة..؟ ولكنه مع الأسف يشبه صانع الصابون بمدينة "لياج"، الذي سم زوجته ليتزوج بسكرتيرته الشقراء.. كانت مأساة ذلك الصانع من القضايا التي نجحت فيها وأكسبتني شهرة واسعة.

فهز "**جورج**" رأسه وقال وهو يتصنع الجد والرزانة:

– هؤلاء الشقراوات يا سيدي هن السبب في معظم المتاعب..!

◆◆◆◆◆

بعد ثلاثة أيام جاءه "**جورج**" بالعنوان المطلوب مكتوبًا على ورقة صغيرة فقال

له :

– أنت مدهش يا "**جورج**" . هل عرفت اليوم بالضبط؟

– الثلاثاء يا سيدي . .

– عجبًا . . من حسن الحظ أن اليوم يوافق الثلاثاء . . يجب ألا نتأخر . .

وبعد نحو عشرين دقيقة كان "**بوارو**" يصعد الدرج في مبنى مظلم . . بشارع متواضع . . ولما أحس بالتعب وقف ليستريح قليلاً قبل أن يضغط على جرس الشقة رقم 10، ولكنه سمع من خلف الباب صوتًا يقطع حبل السكون . . سمع كلبًا ينبح بشدة .

هز "**بوارو**" رأسه وابتسم قليلاً ثم تقدم ليضغط الجرس . . فازداد النباح شدة وانفتح الباب . .

كادت الآنسة "**كارنابي**" تقع على الأرض وهي تدق صدرها من الدهشة والوجل . .

فقال "**بوارو**" :

– أرجو أن تسمحي لي بالدخول .

ودون أن ينتظر منها جوابًا دخل غرفة الاستقبال . . وكان بابها مفتوحًا فتبعته الآنسة "**كارنابي**" كأنها في حلم عميق . غرفة صغيرة ولكنها مكتظة بالأثاث . . كانت تتمدد على أريكة فيها امرأة عجوز بالقرب من المدفأة . . وقفز من جوارها كلب مدلل يحاول أن ينبح على الضيف الفضولي . . ولكن "**بوارو**" عرفه . وقال :

– لقد عرفت هذا الكلب . وهذه السيدة هي أختك، وأنت تأتين إلى هنا كل يوم ثلاثاء؛ لأنه يوم إجازتك أليس كذلك؟

فقالت الآنسة "**كارنابي**" :

– بلى، إنها شقيقتي "**إميلي**" .

وحمل "**بوارو**" الكلب ووضعه على ركبته وقال :

– أعتقد أن مهمتي أوشكت على نهايتها.. فقد وقع الأسد في قبضتي..

فقالت "**آمي كارنابي**" بصوت هادئ غليظ:

– هل عرفت كل شيء حقًّا؟

– أعتقد ذلك.. ويبدو لي أنك المحور الذي تدور حوله هذه الحوادث بمساعدة هذا الكلب المدعو "**أوغست**".. فأنت تخرجين بكلب مخدومتك.. وبدلاً من الذهاب به إلى المنتزه تحضرين به إلى هذه الشقة وتستبدلين به الكلب "**أوغست**".. حتى إذا سئل حارس المنتزه أو المربية إذا أمكن العثور عليها، قررا أنك كنت تصطحبين كلبًا مدللاً.. ولكنه في الحقيقة هو هذا الكلب "**أوغست**" المتمرن على العودة إلى هذا المكان بمفرده. عندما تنتزعين طوقه.. وبعد دقائق تصيحين منزعجة بأن كلبًا مدللاً سرق منك.

وبعد لحظة من الصمت لم تجد الآنسة "**كارنابي**" بدًّا من الاعتراف بالحقيقة.. فتظاهرت بالجد والكبرياء وقالت:

– نعم.. هذه هي الحقيقة. وليس لدي شيء أقوله..

– لا شيء يا سيدتي؟

– لا شيء.. فأنا لصة.. وقد وقعت الآن بين يدي العدالة.

– لا شيء تقولينه للدفاع عن نفسك؟

فاحمر خدًّاها فجأة.. وقالت:

– لست نادمة على ما فعلت وأنت رجل عطوف يا سيد "**بوارو**".. ولعلك أدركت أني مرتعبة خائفة!

– ممن تخافين؟

– نعم.. إنه لمن الصعب على الرجل الكريم أن يدرك حقائق الأمور.. فهأنذا يا سيدي امرأة ساذجة لا أعرف مهنة تقيني شر العوز.. وقد أوشكت أن تتقدم بي السن.. ولذا تراني دائمة الإشفاق من مستقبلي المظلم.. لم أدخر له مالاً ينفعني ويقيم أود شقيقتي "**إميلي**".. كلما كبرت نفر مني الرجال ولم يتقدم

إليَّ منهم من يطلب يدي. وأمثالي ممن ناء عليهم البؤس بكلكله كثيرات لا يجدن أجور الغرف الحقيرة التي يسكنها.. ولست أنكر أن الدولة قد أنشأت بعض الملاجئ.. ولكن دخولها لا يتسير إلاَّ عن طريق ذوي النفوذ الذين لا يعرفهم غير القليل.. ولهذا تجدني يا سيدي دائمة الخوف مما ينتظرني كثيرة الإشفاق على مستقبلي المنكود!

وهنا شعرت بصوتها يضطرب.. فتجلدت وقالت:

– ولعلك عرفت يا سيدي أن هذه الكلاب المدللة المعروفة باسم "**الباكينيز**" تتشابه كلها في الشكل والحجم، وربما يصعب على أشد الناس فطنة أن يميز بينها، ومن يستطيع أن يفرق مثلاً بين "**أوغست**" و"**تاكي بو**" و"**شانتنج**"؟ أليس هذا الكلب أوفر ذكاء، وأجمل منظراً من الآخرين؟ ولهذا نبتت لديَّ الفكرة بفضل "**أوغست**" الذي يقتني أخواته كثير من السيدات الموسرات..!

فقال "**بوارو**" وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة:

– لا شك في أنها فكرة شيطانية وعمل مريح.. كم درت عليك هذه اللعبة؟

فقالت الآنسة "**كارنابي**" بكل بساطة:

– لقد أكمل "**شانتنج**" عدد الكلاب المخطوفة ستة عشر..

– إذن فأهنئك على إحكامك لطريقتك المدهشة..!

فقالت "**آمي كارنابي**":

– كان أبي يقول دائماً إني أجيد رسم الخطط المحكمة! فانحنى "**بوارو**" قليلاً وقال:

– نعم.. لأنك في الإجرام تتبوئين مركز الصدارة..

– الإجرام..؟! ولكني لا أشعر بأنني ارتكبت جريمة.

– ماذا تستشعرين إذن؟

فقالت الآنسة "**كارنابي**":

– الحق معك يا سيدي؛ لأن في هذا العمل خرقًا للقانون.. ولكني مع ذلك

أستطيع أن أبرر لك موقفي بأن جميع السيدات اللائي يستخدمننا من أمثال السيدة يتسمن بالقوة والخشونة.. فمخدومتي مثلاً لا تعبأ بما تقول.. وتغلظ لي القول.. وأكون مضطرة بالطبع إلى التزام الصمت مع كبت شعوري بالحرج والضيق.

فقال "**بوارو**":

– نعم، إني أفهم ما تقولين.

وعادت الآنسة "**كارنابي**" تقول:

– وأخيراً أرى الأموال تبعثر هنا وهناك بغير حساب.. وأسمع أحياناً السيد "**جوزيف هوجين**" يتحدث عن أساليبه في كسب أمواله الطائلة.. فأرى فيها – على قدر فهمي – طرقاً غير شريفة، لهذا اعتقدت أن مائتي جنيه مبلغ يسير لن يضيره.

فقال "**بوارو**":

– أرجو أن تخبريني يا آنسة "**كارنابي**" عما إذا كنت قد نفذت في حياتك عبارات التهديد التي استعملتها في خطاباتك؟

– تهديد؟!

– هل اضطررت إلى تشويه أجساد الحيوانات على نحو ما ذكرت في رسالتك؟

فنظرت إليه الآنسة "**كارنابي**" بانزعاج.. وقالت:

– كلا.. لم أفكر في ذلك مطلقاً.. تلك العبارة كانت مجرد لمسة فنية.

– نعم.. فنية جداً..

– كان "**أوغست**" هو وسيلتي الوحيدة كما كنت بالطبع واثقة بأن هؤلاء السيدات لن يخبرن أزواجهن بالخطابات إلا بعد دفع المبالغ المطلوبة.. وهكذا نجحت طريقتي بكل سهولة. ففي تسع حالات من عشر.. كانت تذهب الوصيفة أو المرافقة بالخطاب وبداخله النقود إلى مكتب البريد، فتفتحه بالبخار

وتأخذ منه النقود وتضع بدلها ورقة بيضاء وتعيده إلى البريد ثانية. وفي حالتين أو ثلاث.. كانت السيدة تذهب بنفسها إلى مكتب البريد وعندئذ تتوجه الوصيفة إلى الفندق لتسلم الخطاب من مكانه المعروف.. فالمسألة كما ترى بسيطة.

– ومسألة المربية والطفل كيف كانت تتم؟

– من المعروف يا سيد "**بوارو**" أن العوانس مغرمات بالأطفال. فليس بدعا أن تنسى الوصيفة كل شيء.. إذا صادفها طفل ظريف..! ولن تتهم أبداً بالتواطؤ والإهمال.

فتنهد "**بوارو**" وقال:

– أنت على جانب عظيم من الفراسة والذكاء وحسن التدبير.. وتعرفين كيف تقومين بتمثيل أدوارك بكل إتقان، حتى إن السيدة لم تجد عليك أي مأخذ عند مقابلتي لكما.. فلا تأسفي من عدم تعلمك مهنة تقيك شر العوز.. فقد منحتك الطبيعة ذهنًا صافيًا، وشجاعة نادرة.

فابتسمت الآنسة "**كارنابي**" وقالت:

– ولكني مع ذلك لم أفلت من يد العدالة..

– لا يمكنك أن تفلتي من يدي طبعا. وعندما قابلت السيدة "**صمويل**" تحققت من أن سرقة "**شانتنج**" ما هي إلاّ حلقة في سلسلة واحدة من الجرائم.. وعرفت بالبحث أن لديك كلبًا من نوع "**الباكينيز**" وأنك تعولين أختًا مريضة.. فكلفت خادمي أن يبحث في دائرة محدودة عن شقة تسكنها سيدة مريضة تقتني هذا الكلب. وتزورها أختها مرة في كل أسبوع.!

فهمت الآنسة "**كارنابي**" بالوقوف وهي تقول:

– لقد أودع الله في قلبك رحمة، وفي رأسك حكمة. فهل لي أن أسألك – وقد أصبح لا مفر لي من السجن – عدم نشر أي شيء عن قضيتي؛ لأن هذا سيؤذي شقيقتي "**إميلي**" ويضر بسمعتنا لدى معارفنا القدامى.. ولهذا أقترح

الذهاب إلى السجن باسم مستعار وأرجو ألا أكون مخطئة في هذا الرجاء..؟!

قال "**بوارو**" :

– بل أعتقد أني سأفعل ما هو أكثر تسامحًا.. على شرط أن أضمن أن حوادث اختفاء الكلاب لن تتجدد منذ الآن، وبعد ذلك أعتبر أن كل شيء قد انتهى.

– نعم.. نعم يا سيدي.

– أما النقود التي أخذتها من السيدة فيجب أن ترد إليها!

فأسرعت الآنسة "**كارنابي**" إلى مكتبها، وفتحت الدرج وعادت بالنقود، وسلمتها له فوضعها في جيبه بعد أن اطمأن إلى صحة عددها وقال:

– أرجو أن أتمكن يا آنسة "**كارنابي**" من إقناع السيد "**جوزيف**" بعدم السير في الدعوى ضدك.

– أوه يا سيد "**بوارو**"..!

وهنا صاحت "**إميلي**" المريضة صيحة فرح واطمئنان.. وأخذ "**أوغست**" يبصبص بذيله جذلاً مستبشراً، فوجه إليه "**بوارو**" حديثه قائلاً:

– أرجو أن تعيرني شيئًا واحداً يا عزيزي.. هو ذلك الرداء السحري الذي يحجبك عن أعين الناس؛ لأنه يلزمني في عملي الشاق المضني، فمن كان يظن أنك ترتدي "طاقية الإخفاء" لتقوم بدورك الغامض في هذه القضية العجيبة دون أن يراك أحد؟!

فقالت الآنسة "**آمي كارنابي**" :

– ليس هذا بعجيب.. فقد علمتنا الأساطير أن كلاب "**الباكينيز**" قد انحدرت من أصلاب الأسود.. وأنها ستظل محتفظة بما ورثته عن أجدادها من شجاعة وقوة..!

فقال لها السيد "**بوارو**" :

– أظن أن "**أوغست**" هو الكلب الذي تركته لك السيدة "**هارتنجفيلد**" وقد

أشعت عنه أنه مات..؟ أفلا تخافين عليه من عودته وحيداً في هذا الزحام؟

– كلا يا سيدي. فقد أصبح "**أوغست**" ماهراً جداً في اجتناب أخطار الطريق، وقد دربته على التزام طريق واحد لا يتعداه..!

– لا شك في أنه في هذه القضية بالذات قد تفوق بذكائه على الآدميين..!

◆◆◆◆◆

قال السيد "**جوزيف**".. وقد استقبل "**بوارو**":

– أرجو أن تكون قد وصلت إلى نتيجة.

فأجابه "**بوارو**" وهو يهم بالجلوس:

– لي عندك رجاء.. قد عرفت اللص وتوفرت عندي الأدلة على إدانته. ولكني أشك كثيراً في إمكان حصولنا على النقود منه.

فاحمر وجه السيد "**جوزيف**" وقال:

– لن نحصل منه على نقودنا المغتصبة؟

فاستمر "**بوارو**" يقول:

– أنا لست من رجال البوليس. ولكني مخبر خاص أقوم بمهمتي لحسابك الشخصي. ولهذا أعتقد أنه يمكنني أن أسترد نقودك من اللص لو أنك تعهدت لي بعدم مقاضاته.

– آه.. ولكن هذا يتطلب شيئاً من التفكير!

– إن المسألة تهمك شخصيًّا وحلها بين يديك، أما إذا نظرنا إليها من الناحية العامة.. فاحترام القانون والنظام يقتضيك الاستمرار في القضية.

– ولكني أكره أن يقول الناس إن لصًّا غرر بي واغتصب أموالي..

– ماذا ترى إذن؟

فضرب السيد "**جوزيف**" بقبضة يده على المنضدة وقال:

– ولكني سأعرف كيف أموه على الناس، فلن يعرفوا حقيقة المبلغ الذي سلب

مني، فنهض "**بوارو**" ، وسار نحو منضدة ليكتب شيكًا بمبلغ مائتي جنيه.. ثم سلَّمه للسيد "**جوزيف**" .. فسأله هذا بصوت خافت:

– حسنًا! ولكن من يكون هذا اللص؟

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– ما دمت قد قبلت النقود. فليس من حقك أن تسألني عن اللص..

فطوى السيد "**جوزيف**" الشيك ووضعه في جيبه، وقال:

– شكرا.. شكرا.. النقود هي الهدف الذي نسعى إليه. ولكن بكم تظنني مدينا لك..؟

– لن يكون أجري عاليا؛ لأن القضية كما قلت لك بسيطة، ومعظم القضايا التي أقبلها في هذه الأيام من نوع القتل والجرائم الفظيعة.

فقال السيد "**جوزيف**" :

– لأنها قضايا شيقة.. على الرغم من فظاعتها!

فقال "**بوارو**" :

– قد تكون هذه القضايا زاخرة بالغرابة والمفاجآت.. ولكنك تذكرني ببطل جريمة حدثت منذ سنتين في "**بلجيكا**" لشدة الشبه بينكما.. كان هناك صاحب مصنع للصابون.. وقد سمّ زوجته؛ ليقترن بسكرتيرته الحسناء.. نعم إن الشبه بينكما غريب جدًّا!

ماتت الكلمات في فم السيد "**جوزيف**" وحالت شفتاه إلى لون أزرق وهرب دمه، وجحظت عيناه وغاص في كرسيه حتى كاد أن يختفي فيه..

وأخيراً أدخل يده المرتعشة في جيبه وتناول الشيك ومزقه إربًا إربًا وقال:

– أعتقد أن كل شيء قد انتهى. اعتبر المبلغ أجرًا لك.

– ولكن أجري لا يكون كبيراً إلى هذا الحد..!

– حسنا.. ولكني تبرعت لك به!

– سأتصدق به على المعوزين..

– افعل به ما تشاء..

فأحنى "**بوارو**" رأسه قليلاً وقال:

– أرجو يا سيد "**جوزيف**" أن تكون أكثر حذراً لخطورة مركزك..

فقال السيد "**جوزيف**" بصوت خافت:

– لا داعي لهذا التحذير.. فسأكون أكثر حذراً مما تظن..

وخرج "**بوارو**" وهو يقول لنفسه:

– أعتقد أن تصرفي كان سليماً..

◆◆◆◆◆

قالت السيدة لزوجها:

– ما لهذا الدواء قد تغير طعمه ولم تعد له المرارة التي كنت أستشعرها من قبل؟!

فقال السيد "**جوزيف**":

– لأن الصيادلة قوم مهملون.. في كل مرة يتغير تركيبهم لنفس الدواء.. فنجده مختلفاً من حين لآخر..!

فقالت السيدة في غمرة من الشك:

– أعتقد أنه الدواء الحقيقي هذه المرة.

– طبعا هو الدواء الحقيقي.. أي شيء آخر تظنينه؟!

– هل وصل الرجل إلى نتيجة في مسألة "**شانتنج**"؟

– نعم.. لقد أحضر نقودي كاملة..

– من ذلك اللص الآثم؟

– لم يشأ أن يفضي إليّ بحقيقته.. "**بوارو**" شخص غامض، وعلى كل حال لا تهتمي بهذه المسألة.

– إنه على ضآلة جسمه رجل ظريف!

فشعر السيد "**جوزيف**" بقشعريرة تهز بدنه، فأشاح بوجهه؛ لأن ذكر "**بوارو**" جعله يتصوره أمامه بلحمه ودمه.

ثم تجلد وقال:

– إنه قزم ماهر..!

وقال في نفسه:

– فلتذهب "جريتا" إلى حال سبيلها. أما أنا فلن أقدم رقبتي بعد اليوم إلى حبل المشنقة من أجل غانية شقراء!

◆◆◆◆◆

– أوه!

حملقت "**آمي كارنابي**" في الشيك بمبلغ مائتي جنيه وهي لا تكاد تصدق عينيها، ثم قالت:

– "**إميلي**".. "**إميلي**".. اسمعي:

– عزيزتي الآنسة "**كارنابي**"..

اسمحي لي أن أقدم لك هذه المنحة المرفقة طيه..

فقالت "**إميلي**":

– المخلص "**هركيول بوارو**"..

– إنك سعيدة الحظ يا "**آمي**". تصوري ماذا كان سيصبح مصيرك الآن؟

فقالت "**آمي**":

– كل شيء قد انتهى الآن.. أليس كذلك يا "**أوغست**"؟ لن تذهب بعد الآن إلى المتنزه معي أو مع أية واحدة من صديقاتي وبرفقتنا المقص المعروف..!

وغامت عيناها قليلاً وتنهدت، ثم قالت:

– ولكني أشفق عليك يا عزيزي "**أوغست**" لمهارتك وذكائك ويحسن أن أروضك على شيء آخر.

-2-

جريمة ولا جريمة

نظر "**بوارو**" إلى الرجل الجالس أمامه..

إنه الدكتور "**تشارلز أولدفيلد**". في الأربعين من عمره، رمادي الشعر، ذو عينين زرقاوين لا تكادان تستقران في محجريهما، تردد قليلاً قبل أن يتكلم. ثم قال:

– لقد حضرت إليك يا سيد "**بوارو**" برجاء غريب. ويحسن أن أفضي إليك هنا بكل شيء؛ لأني متأكد من أن مسألتي تكاد تكون مستعصية..!

فقال "**بوارو**":

– مادام الأمر كذلك فدعني أرى وأحكم..

فقال الدكتور "**أولدفيلد**":

– لست أدري لماذا ظننت ذلك.. فربما..

فأتم له "**بوارو**" كلمته بقوله:

– ربما أتمكن من مساعدتك.. حسنًا.. أخبرني عن مسألتك.. فاعتدل الدكتور "**أولدفيلد**" وقال:

– لا فائدة من أن يلجأ الإنسان إلى البوليس.. فكثيراً ما يفشل رجاله في القضايا المهمة، ولكن كل يوم يمر علينا تزداد الحالة سوءاً..

– ما تلك الحالة التي تزداد سوءاً؟

– الإشاعات يا سيدي تزيد موقفي حرجًا. فمنذ عام تقريبًا ماتت زوجتي بعد مرض عضال لازمها سنين عديدة. ولكن الناس يشيعون أني قتلتها بالسم!

فقال "**بوارو**":

– آه.. ولكن هل دسست لها السم؟

فنهض الدكتور "**أولدفيلد**" مذعورا وقال:

– سيد "**بوارو**" ..!

– هون عليك.. واجلس وسنبحث كل شيء.. أنت لم تدس السم لزوجتك.. أظن أن مقر عملك في الريف؟

– نعم في "**لوجبرو**" بمقاطعة "**بركشير**".. أكثر الأمكنة صلاحية للإشاعات، حيث تنمو وتكبر وتتضخم في سهولة ويسر.

واقترب الدكتور بكرسيه قليلاً واستمر يقول:

– ليست لديك فكرة واضحة يا سيد "**بوارو**" عما أعانيه.. فإني لم أقم وزنًا لما كنت أسمعه في أول الأمر. ولكن كلما مرت الأيام ازداد نفور الناس مني. وفي الشارع أرى العابرين يحاولون تجنبي، مما أصاب مهنتي بالكساد والبوار.. وأينما ذهبت وجدت الناس يتهامسون وينظرون إليَّ شزراً قائلين بصوت أكاد أسمعه: إنني سفاك أثيم.. وأخيراً وصلني خطاب تهديد أو خطابان..

ثم صمت قليلاً وعاد يقول:

– لا أدري ماذ أفعل إزاء هذه الحالة، ولا كيف أحارب هذه الأكاذيب.. كيف يدحض الإنسان أقوالاً لا يواجهه بها مخترعوها.. إني ضعيف أعزل.. وقد تكسرت النصال على النصال وأثخن قلبي بالجراح.

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– نعم. الإشاعات في الحقيقة تشبه أفعوان "ليرنيا" ذا الرءوس السبعة.. كلما قطعت رأساً نبت في مكانه رأسان..!

فقال الدكتور "**أولدفيلد**":

– هذه هي الحقيقة.. ولهذا تراني قد عجزت وأسقط في يدي. ولذلك لجأت إليك في النهاية. ولكني لا أزال ضعيف الأمل في النجاح.

فصمت "**بوارو**" لحظة ثم قال:

– لست متأكداً إذا كنت سأجد في قضيتك ما يحفزني على الاستمرار في

تحقيقها.. ولكنني أشعر برغبة قوية في الفتك بهذا الأفعوان الخطير الذي يؤرقك.. أخبرني قبل كل شيء عن الظروف التي ساعدت هذه الإشاعات على الانتشار، لقد ماتت زوجتك منذ عام تقريبًا فما سبب وفاتها؟

– قرحة في المعدة..

– هل تم فحص الجثة؟

– كلا؛ لأنها كانت تعاني هذا المرض منذ أمد طويل.

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– إن الشبه قريب جدًّا بين أعراض التسمم بالزرنيخ وأعراض قرحة المعدة. وهذه حقيقة لا يكاد يجهلها أحد في هذه الأيام.. وفي السنوات العشر الأخيرة حدثت أربع وفيات، وتم الدفن بدون معارضة أو شبهة؛ لوجود شهادات طبية جاء فيها أن الوفاة كانت بسبب قرحة في المعدة..

هل كانت زوجتك أكبر منك سنا..؟

– كانت تكبرني بخمس سنوات..

– متى تزوجتما؟

– منذ خمسة عشر عامًا.

– هل كانت تملك ثروة؟

– نعم كانت غنية.. وبلغت تركتها حوالي ثلاثين ألف جنيه..!

– تركة هائلة.. وقد آلت إليك طبعًا؟

– نعم..

– هل كنتما على وفاق أثناء حياتها؟

– بالتأكيد..!

– ألم يحدث بينكما شجار؟

فقال الدكتور "**أولدفيلد**" بعد تردد قليل:

– كانت زوجتي قوية المراس، خشنة الطبع. وكانت بالنسبة إلى مرضها لا

يعنيها في الدنيا إلا صحتها. ولهذا كانت دائمة الغضب، تتصور جميع أعمالي أحيانا بعيدة عن الصواب.

فقال "**بوارو**":

– آه.. لقد فهمت..! ربما كانت تشكو من إهمالها وعدم تقديرها، وأن زوجها قد تعب من طول مرضها وأصبح يتمنى لها الموت؟!

فلاحت على وجه الدكتور "**أولدفيلد**" أمارات التأكيد لهذا الاستنتاج وقال وهو يبتسم:

– أصبت يا سيد "**بوارو**".

فاستطرد "**بوارو**" يقول:

– هل كان لديها ممرضة تعنى بأمرها..؟

– نعم.. ممرضة ماهرة وقليلة الكلام.. لا تحب التدخل في غير عملها.

– ولكنها امرأة فحسب.. ومهما كان ظاهرها يدل على الرزانة والصمت فهي تحب الكلام؛ لأن الطبيعة أرادت لها ذلك. ولابد للثرثار أن يخطئ.. فالممرضة تثرثر والخادم يثرثر، حتى تجد هذه الثرثرة طريقها المعبد إلى أوشاب القرية وغوغائها.. هل يمكنني أن أعرف من السيدة الأخرى؟

فلاح الغضب على وجه الدكتور "**أولدفيلد**" وقال:

– أكاد لا أفهم قصدك؟

فقال "**بوارو**" بهدوء:

– أعتقد أنك تفهم.. من السيدة التي اقترن اسمها باسمك؟

فنهض الدكتور "**أولدفيلد**" وهو محتقن الوجه وقال:

– ليس في القضية أي ظل لامرأة.. وأنا آسف يا سيد "**بوارو**" لإضاعة وقتك.

ثم توجه إلى الباب فقال "**بوارو**":

– وأنا آسف أيضاً ؛لأنه يهمني أن أساعدك بشرط أن تخبرني بالحقيقة..

– لقد أخبرتك..

– كلا..

فوقف الدكتور "**أولدفيلد**" والتفت إليه وقال:

– لماذا تصر على وجود سيدة في هذه القضية..؟

– أتظن يا سيدي الدكتور أني أجهل عقلية المرأة.. وأن الإشاعات في القرى لاتروج إلاّ حول العلاقات الجنسية. فإذا سمَّ الرجل زوجته مثلاً ليقوم برحلة إلى القطب الشمالي وحيداً. لا يكدر صفوه شيء.. لم يهتم بالأمر أحد.. أما إذا كان في نيته أن يتزوج امرأة أخرى فإنه يصبح في نظر عشيرته بغيضاً آثماً.. وتستشري الإشاعة.. وتشب نارها.. هذه ظاهرة نفسية عامة.

فقال الدكتور "**أولدفيلد**":

– لا يهمني ما يجول في أذهان هؤلاء الأوغاد..

فقال "**بوارو**":

– عد إذن واجلس وأجب عن سؤالي..

فعاد الدكتور "**أولدفيلد**" ببطء إلى مكانه وقال:

– أظنهم تناولوا في أحاديثهم الخرقاء الآنسة "**جان مونكريف**" الفتاة الظريفة التي تعمل معي في العيادة.

– هل لها في خدمتك وقت طويل؟

– ثلاث سنوات تقريبا.

– هل كانت زوجتك تحبها؟

– لا... لا أظن..

– هل كانت تغار منها؟

– كانت من هذه الناحية في منتهى الغموض.

فابتسم "**بوارو**" وقال:

– غيرة الزوجات من الأمور الشائعة. وقد علمتني التجارب أن الغيرة لا توجد عندهن بدون أسباب حقيقية. وبالمثل تكون غيرة الرجال على زوجاتهم. فلابد

للغيرة عند الجنسين من وجود دوافع قوية فلا دخان من غير نار. وأقل شبهة قد تؤدي إلى حقائق مروعة.

فقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– ولكني لم أقل لـ"**جان مونكريف**" أبدا كلاماً يضيرني أن تسمعه زوجتي.

– ربما. ولكن ذلك لن يغير من الحقيقة التي ذكرتها لك.

وانحنى "**بوارو**" إلى الأمام قليلاً وقال وهو يضغط على كلماته:

– سأبذل قصارى جهدي في قضيتك يا دكتور، ولكن يجب أن تصارحني بكل شيء. فهل كان حقًّا أنك أهملت العناية بزوجتك قبل موتها؟

فصمت الدكتور "**أولدفيلد**" لحظة ثم قال:

– أعتقد أنك ستصنع شيئًا من أجلي يا سيد "**بوارو**"، ولهذا سأتوخى معك الصدق والأمانة والحق أنني لم أعن بزوجتي كما يجب. كنت لها زوجًا طيبًا، ولكني لم أشعر نحوها بحب حقيقي.

– وهذه الفتاة "**جان**"؟

فتفصد جبين الدكتور بالعرق، وقال:

– ربما كنت تزوجتها لولا هذه الإشاعات الوقحة.

فقال "**بوارو**" :

– لقد وضحت لي قضيتك الآن يا دكتور وسأتولاها. ولكن يجب ألاّ تنسى أنني سأقوم بالبحث والتحقيق..

فقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– أخشى أن يؤذيني بحثك.. ثم صمت لحظة كالمتردد، وقال:

– إنني في الواقع لا أستطيع أن أتهم شخصًا معينًا.. ولهذا أخشى أن تقع التهمة على عاتقي وأصبح في مركز أسوأ مما أنا فيه الآن. ثم حملق إلى وجه "**بوارو**" وقال:

– أرجو أن تخبرني بكل صراحة عما إذا كان يوجد مخرج من هذه الورطة؟

فقال "**بوارو**" :

– لابد من وجود مخرج!

◆◆◆◆◆

قال "**بوارو**" لخادمه الخاص:

– سنذهب إلى الريف يا "**جورج**" .

– أحقًا يا سيدي؟

– مهمتنا هذه المرة هي تحطيم أفعوان له سبعة رءوس.

– يخيل إليَّ أنه أفعوان خطير يا سيدي.

– لست أقصد الأفعوان من حيث هو دم ولحم!

– إني لا أفهم ماذا تعني يا سيدي؟

– كنت أتمنى لو كان هدفنا أفعوانًا حقيقيًا. ولكن عدونا هذه المرة شيء مجهول خلق جوًّا من الإشاعات القاتلة!

– نعم. من الصعب يا سيدي أن يعرف الإنسان كيف تتكون هذه الأشياء وتبدأ وجودها..

◆◆◆◆◆

لم يذهب "**بوارو**" إلى منزل الدكتور "**أولدفيلد**"، بل قصد إلى فندق عام. وفي صبيحة يوم وصوله قابل "**جان مونكريف**" ..

كانت فتاة هيفاء نحيلة القد، ذهبية الشعر، زرقاء العينين، تبدو على ملامحها اليقظة والانتباه. قالت:

– لقد ذهب إليك الدكتور "**أولدفيلد**" كما علمت.

فقال "**بوارو**" :

– وأنت ألم تستحسني ذلك؟

فالتقت عيناها بعينيه وقالت ببرود:

– ما الذي يمكنك أن تفعله؟

– توجد طريقة واحدة للكلام في هذا الموضوع.

– أية طريقة؟ هل تعني أنك ستحاول الذهاب إلى جميع عجائز القرية، لترجوهن الكف عن ترويج هذه الإشاعات؛ لأنها تضر بالدكتور "**أولدفيلد**"؟ ربما يجبنك بأنهن لا يصدقن الحكاية. ولكن سبب وفاة السيدة "**أولدفيلد**" يدعو إلى الريبة. أو يقلن إنهن لا يتهمن الدكتور بسوء إلاّ لسبب واحد هو إهماله لزوجته واستخدامه لفتاة صغيرة..

فقال "**بوارو**":

– يخيل إليّ أنك تعرفين جيداً ما تلوكه الألسنة؟

فضغطت شفتيها ثم قالت:

– نعم أعرف كل شيء.

– وما الحل الذي ترينه لهذه المسألة؟

فقالت "**جان مونكريف**":

– الحل الوحيد هو أن يبيع عيادته ويرحل عن القرية.

– ألا تظنين أن الإشاعات ستتبعه حيثما ذهب؟

فهزت كتفيها وقالت:

– يجب أن يقدر ذلك.

فصمت "**بوارو**" قليلا ثم قال:

– هل ستتزوجين الدكتور "**أولدفيلد**"؟

فلم تدهش لهذا السؤال وقالت:

– لم يطلب إلي ذلك.

– لماذا؟

فرنت إليه بعينيها الزرقاوين وقالت:

– لأني صدمته!

– من أكبر النعم أن يجد الإنسان شخصاً في صراحتك!

– سأكون صريحة معك أكثر مما ينبغي، عندما علمت أن الناس أخذوا يشيعون أن الدكتور تخلص من زوجته ليقترن بي، أدركت أن زواجنا سيحقق حدس الناس وتخمينهم، ولهذا رجوت الدكتور ألا يجري بيننا حديث عن الزواج؛ لتموت الإشاعات قبل أن تبيض وتفرخ!

– ولكن الإشاعات لم تمت؟

– كلا!

فسألها "**بوارو**" :

– هل تريدين الزواج بالدكتور؟

– نعم..

– إذن فقد كان موت زوجته مفيداً لك؟

فقالت "**جان**" :

– لقد كانت السيدة "**أولدفيلد**" سيدة بغيضة لا تسر من يعاشرها ولا أكتمك أني سررت كثيراً لموتها..!

فقال "**بوارو**" :

– أنت صريحة أكثر من اللازم!

فابتسمت "**جان**" ابتسامة تمتزج بالاحتقار.

وقال "**بوارو**" :

– لدي اقتراح..

– نعم.

– المسألة تحتاج إلى عمل سريع وحاسم، أقترح أن يقدم بلاغ من أي شخص ولتكوني أنت مقدمة هذا البلاغ إلى وزارة الداخلية.

– ماذا تعني بهذا الاقتراح الخطير؟

– أعني أننا نريد قطع دابر هذه الإشاعات بطلب تشريح الجثة. فتراجعت الفتاة خطوة إلى الوراء وفغرت فاها. وقال "**بوارو**" :

– حسنًا يا آنستي!

فقالت "**جان**" بهدوء:

– ولكنني لا أوافقك!

– لماذا؟ إذا أثبت التشريح أن الوفاة طبيعية خرست الألسنة!

– هذا إذا أمكن الإثبات.

– هل تدركين يا آنستي ماذا تعنين؟

فقالت "**جان**" في شيء من الاضطراب:

– إني أفهم ما أقول. فأنت تظن أن الوفاة حدثت من تسمم الزرنيخ ولكن يوجد نوع آخر من السم لا يظهر أثره بعد مضي عام كالقلويات النباتية مثلاً. فإذا قال الأطباء بعد التشريح إنهم لم يهتدوا إلى سبب الوفاة. فماذا تكون النتيجة؟ ستنطلق الألسنة من عقالها أكثر من ذي قبل!

فصمت "**بوارو**" قليلا ثم قال:

– من تظنين أطول الناس لسانا في هذه القرية؟

وأخذت "**جان**" تفكر قليلا ثم قالت:

– أظن أنها الآنسة "**ليتران**" السيدة العجوز.. فهي أخطر مروجة للإشاعات.

– هل يمكنك أن تسهلي لي مقابلة الآنسة "**ليتران**"؟

– نعم. وخصوصًا في هذا الوقت من الصباح حيث تخرج نساء القرية لشراء حاجاتهن!

ولم يكن في الأمر أية صعوبة كما قالت "**جان**". فإنها وقفت فجأة أمام مكتب البريد وراحت تتحدث إلى سيدة طويلة حادة الأنف، براقة العينين قالت:

– طاب صباحك يا آنسة "**ليتران**".

– طاب صباحك يا "**جان**" . الجو صحو اليوم.

وأخذت السيدة تصوب عينيها الفاحصتين نحو الشخص المرافق لـ"**جان**" . . فقالت هذه:

– أقدم إليك السيد "**بوارو**" . نزيل قريتنا لبضعة أيام.

◆◆◆◆◆

وسألته الآنسة "**ليتران**" ذات يوم بدافع الفضول عن سبب إقامته في القرية. فوجد "**بوارو**" أن الفرصة سانحة للحديث فقال:

– أعتقد أنك سيدة ماهرة يا آنسة "**ليتران**" ؛ لأنك استطعت أن تستنتجي السبب في وجودي هنا. لقد حضرت بناء على طلب وزارة الداخلية. ثم خفض صوته وقال:

– ولكن أرجوك ألا تبوحي بهذا السر لأي إنسان.

فقالت الآنسة "**ليتران**" :

– طبعا. طبعا. . وزارة الداخلية. . ولكنكم لا تقصدون السيدة "**أولدفيلد**" ؟

فهز "**بوارو**" رأسه عدة مرات ثم قال:

– إن الموضوع جد خطير. وقد أمرتني الوزارة بالتحري عما إذا كانت المسألة تحتاج إلى إخراج الجثة لتشريحها.

فقالت الآنسة "**ليتران**" وهي منزعجة:

– يا للفظاعة! ستنبشون القبر لإخراج رفات بالية؟!

– ما رأيك يا آنسة "**ليتران**" ؟

– لقد لاكت الألسنة هذا الموضوع كثيراً يا سيد "**بوارو**" ، ولكني لا أصدق كل ما يقال. غير أن موقف الدكتور "**أولدفيلد**" فريد في بابه، ولا نستطيع أن نفسر أسباب حزنه فلعله شعور بالذنب، وعلاقته مع زوجته لم يعرفها أحد، ولكن الممرضة "**هاريسون**" خدمت السيدة "**أولدفيلد**" أربع سنوات، وربما

تعرف عنها الكثير، وهي وإن لم تكن قد خاضت في هذا الموضوع إلاّ أن الإنسان يستطيع أن يقرأ في ملامحها بعض الأسرار.

فقال "**بوارو**" في حزن وأسى:

– ولكننا لن نصل إلى كبد الحقيقة!

– لا شك في أنكم إذا أخرجتم الجثة فستعرفون كل شيء.

– نعم ستنكشف لنا الحقيقة!

– لقد مرت بكم قضايا مشابهة طبعا كقضية "**أرمسترنج**" وقضية ذلك الرجل الذي لا أذكر اسمه الآن وقضية "**كريبون**" وغيرها. ولكن "**جان مونكريف**" فتاة ظريفة طبعا! ولا أطن أنها قد دفعته إلى ارتكاب فعلته. ولكن الرجال يفقدون صوابهم عندما يحبون. وطبعا تكون النتيجة وبالا على العاشق والمعشوق.

كان "**بوارو**" ملتزما الصمت يفكر في كيفية استخلاص أكبر قسط من حديث هذه المرأة، ويسلي نفسه بإحصاء كلمة "طبعًا" التي تلازم حديثها. ثم استمرت تقول:

– وطبعا يعرف الخدم كثيراً من أسرار البيوت، أليس كذلك؟ ومن الصعب أن يمنعهم الإنسان من ترويج بعض الإشاعات. وقد طردت "**بياتريس**" عقب وفاة سيدتها، وهذه غلطة أخرى ارتكبها الدكتور خصوصا في هذه الأيام التي يصعب فيها الحصول على خادمات. فقد زادت هذه المسألة شكوك الناس وظنونهم بأن طرد الفتاة قد حدث للتخلص منها.

فقال "**بوارو**" بهدوء:

– يخيل إليّ أن طريق البحث صار ممهداً.

فبدت على الآنسة "**ليتران**" علامات الندم وقالت:

– ولكن الإنسان يشعر بالاضطراب من هذا الموضوع. فستتناول الجرائد قريتنا الهادئة المطمئنة بالتجريح والتنديد.

– هل هذا يزعجك؟

– طبعا. لأني كما تعلم امرأة محافظة.

– ولكن المسألة لا تخرج عن كونها إشاعات باطلة كما تقولين؟

– ولكن إرضاء لضميري أقول إنه يوجد فيها ظل من الحقيقة. ولا دخان من غير نار.

فقال "**بوارو**":

– وأنا شخصيًّا كان يجول بخاطري هذا الاعتقاد.

ثم نهض واقفا وقال للآنسة "**ليتران**":

– هل يمكنني أن أثق بالتزامك الكتمان يا آنسة؟

– أوه. طبعا! لن أقول كلمة لأي مخلوق.

فاستأذن "**بوارو**" وهو يبتسم، ثم وقف عند الباب ليتناول معطفه وقبعته، وقال:

– لقد نزلت بهذه القرية للتحري عن ظروف وفاة السيدة "**أولدفيلد**" وأكون شاكرا لو احتفظت بهذا النبأ سرًّا خاصًّا لك.

– ولكن أرجو ألا تشركني في هذا الموضوع.. "**بياتريس**" تعرف كل شيء وقد كانت تخدم في منزل الدكتور "**أولدفيلد**" عندما ماتت زوجته!

فقال "**بوارو**" بصوت أجش رصين:

– لعلها ظنت أن في الأمر جريمة؟

– نعم. وهي تقول إن الممرضة "**هاريسون**" كانت تشاركها في هذا الظن. وقد كان الود متصلا بين الثلاث: الخادمة وسيدتها والممرضة. وكانت الأخيرة أول من قلب ظهر المجن للدكتور بسبب وفاة زوجته..

– أين الممرضة "**هاريسون**" الآن؟

– إنها تعمل عند السيدة "**بريستو**" العجوز داخل القرية.

ولم يمض وقت قصير حتى كان "**بوارو**" جالسًا أمام المرأة التي تعرف أكثر من

غيرها الظروف التي أدت إلى هذه الإشاعات.

كانت الآنسة "**هاريسون**" لا تزال على شيء من الجمال وإن لم تكن قد جاوزت الأربعين. في قسماتها دلائل الجد والرزانة، وفي عينيها الداكنتين بريق الذكاء.

أخذت تصغي إليه بهدوء وانتباه، ثم قالت:

– نعم. لقد سمعت تلك الإشاعات التي تتناقلها الألسنة وحاولت أن أضع حداً لها، ولكن دون جدوى.

قال "**بوارو**":

– ألا تظنين يا آنسة "**هاريسون**" أنه توجد أسباب ساعدت على انتشار هذه الإشاعات؟

فلاحظ "**بوارو**" أن شعورها بالأسى قد صار أكثر وضوحاً، ولكنها هزت رأسها في دهشة وحيرة.

وقال "**بوارو**":

– ربما كان السبب هو عدم الانسجام بين الدكتور "**أولدفيلد**" وزوجته؟

قالت الآنسة "**هاريسون**" بعد تردد:

– كلا. فقد كان الدكتور "**أولدفيلد**" محبًّا لزوجته، عطوفا عليها.

– هل كان يحبها كثيراً؟

فقالت الآنسة "**هاريسون**" بعد تردد:

– كلا لم أقل ذلك. فإن السيدة "**أولدفيلد**" كانت قوية المراس، تريد من زوجها أن يوقف كل وقته وجهده على العناية بها والسهر عليها. وهذه مطالب عسيرة يصعب تحقيقها.

قال "**بوارو**":

– لعلك تقصدين أنها كانت تبالغ في مطالبها؟

– نعم. وربما كان السبب في ذلك هو ضعف صحتها.

قال "**بوارو**" بحزن:

– ومع ذلك فقد ماتت!

– أوه! أنا أعرف. أنا أعرف ذلك. وبدا عليها الاضطراب فقال "**بوارو**":

– أنا متأكد من أنك تعرفين كيف بدأت من أول الأمر هذه الإشاعات.

فقالت الآنسة "**هاريسون**":

– نعم أنا أعرف، وربما كان علمي حدسا. أظن أن "**بياتريس**" أول من خلقت هذه الإشاعات.. وإني أعرف كيف نبتت في رأسها!

– نعم..

– سمعت ذات مرة الدكتور "**أولدفيلد**" يتحدث مع "**جان مونكريف**". وأنا واثقة بأن "**بياتريس**" قد سمعت ذلك الحديث أيضا.

– ماذا كان موضوع ذلك الحديث؟

وصمتت الآنسة "**هاريسون**" لحظة تستجمع فيها أفكارها ثم قالت:

– كان ذلك قبل وفاة السيدة "**أولدفيلد**" بثلاثة أسابيع. وقد كنت صاعدة من الدور الأول، فوجدت الدكتور والآنسة "**جان**" في غرفة الطعام يتحدثان..

سمعت "**جان**" تقول له:

– لقد طال علينا الأمد. لم أعد أطيق الصبر.

فأجابها الدكتور:

– كلا. أقسم لك يا حبيبتي أن الوقت لم يطل.

فقالت ثانية:

– لا أستطيع احتمال هذا الصبر المرير. هل تظن أن الأمور تسير سيراً مرضياً؟

فقال لها الدكتور:

– طبعا كل شيء يسير على ما يرام. وثقي هذه المرة بأننا سنتزوج بعد عام على الأكثر.

وصمتت الآنسة "**هاريسون**" قليلا ثم قالت:

– كان هذا الحديث هو أول ما سمعت . ومنه يتبين أنه لم يكن ثمة شيء بين الدكتور "**أولدفيلد**" والآنسة "**جان**" . وأنا أعرف طبعا أنه كان معجبا بها وكانت بينهما آصرة مودة، ولكن الأمر لم يتعد ذلك . وسرعان ما عدت أدراجي عقب سماعي للحديث . ولكني لاحظت أن باب المطبخ كان مفتوحًا حيث كانت "**بياتريس**" تسترق السمع . ولعلك ترى معي أن الحديث كان عاديًّا جدًّا، ولكن يمكن تأويله مع الأسف بعقلية "**بياتريس**" بأن الدكتور والآنسة "**جان**" كانا يتآمران على قتل السيدة "**أولدفيلد**" ، مع أنني شخصيًّا فهمت أن الآنسة "**جان**" كانت متبرمة من طول مرض السيدة؛ لأنه سيعطلها عن الاقتران بالدكتور "**أولدفيلد**" .

فنظر إليها "**بوارو**" نظرة فاحصة وقال :

– هل لديك أنباء أخرى تريدين الإفضاء بها إليّ يا آنسة "**هاريسون**" ؟

فأجابته في حدة :

– لا . لا . . بالتأكيد . . ماذا يمكن أن يوجد؟!

– لا أعرف . ولكن ربما توجد أشياء أخرى .

فهزت رأسها سلبا، وقال "**بوارو**" :

– من المحتمل أن تقرر وزارة الداخلية إخراج جثة السيدة "**أولدفيلد**" لتشريحها .

فقالت الآنسة "**هاريسون**" وهي منزعجة :

– لا . لا . . إنه لشيء مؤلم حقًّا!

– أتعتقدين ذلك؟

– أظن أن الأمر مخيف جدًّا وسيثير أقوالاً شتى . هذا فضلاً عن الانزعاج الذي سيسببه للدكتور "**أولدفيلد**" !

– ألا تظنين أنه من الخير له أن يتم إخراج الجثة لتشريحها؟

– ماذا تعني؟

– أعني أنه إذا كان بريئًا فستصمت الألسنة، وتموت الإشاعات.

فلاحظ "**بوارو**" أن أسارير الآنسة "**هاريسون**" قد انفرجت بعد عبوس وتنهدت تنهيدة عميقة ثم قالت:

– لم تخطر ببالي هذه الفكرة، ولكنها الطريقة الوحيدة الواجب اتباعها.

وهنا سمع تصفيق مستمر فقالت:

– إنها السيدة العجوز السيدة "**بريستو**" قد استيقظت ويجب أن أذهب إليها؛ لأهيئ لها وسائل الراحة قبل أن أعد لها الشاي ثم نخرج للنزهة. نعم أعتقد أن فكرتك صائبة جدًّا يا سيد "**بوارو**"؛ لأن التحليل سيخرس الألسنة، ويقضي على الشائعات.

ثم شدت على يده بحرارة وخرجت من الغرفة.

وقصد "**بوارو**" إلى مكتب البريد ليتحدث مع "**لندن**" بالتليفون.

قال له محدثه في شيء من الحدة:

– أما زلت تتحرى عن هذه القضية التافهة؟

هل تعتقد أنها من النوع الذي يجب أن نهتم به نحن رجال "**اسكتلانديارد**"؟ ألا تعلم أن الإشاعات الريفية كثيرًا ما تتمخض عن لا شيء؟!

فقال "**بوارو**":

– ولكن هذه القضية خاصة..

– حسنًا. ولكنك تتعب نفسك أكثر مما ينبغي. أما إذا كانت القضية مجرد وهم فلن نستريح لك.

– كلا، ولكني سأكون أول من يستريح إلى النتيجة.

– ماذا تقول؟ إني لا أسمع.

– لا شيء.. لا شيء..

ثم وضع السماعة وخرج من غرفة التليفون وتوجه نحو الموظفين، فسأل موظفة

مكتب البريد وهو يدفع لها أجر المكالمة:

– هل يمكنك يا سيدتي أن تخبريني عن عنوان خادمة الدكتور "**أولدفيلد**" السابقة المدعوة "**بياتريس**"؟

– "**بياتريس كنج**"؟ لقد اشتغلت منذ خروجها من منزل الدكتور في بيتين.. آخرهما منزل الآنسة "**مارلي**" بأعلى البنك.

فشكرها "**بوارو**"، ثم اشترى بطاقتي بريد ودفتر طوابع، وحاول أثناء ذلك أن يثير موضوع وفاة السيدة "**أولدفيلد**"، ولكنه رأى فجأة ما ارتسم على وجه موظفة المكتب من دهشة وقالت:

– يا للمصادفة العجيبة..! ها هي ضالتك المنشودة التي خلقت جميع الإشاعات التي سمعتها.

ثم برقت عيناها قليلاً وتهللت أساريرها وعادت تقول:

– ألست تريد مقابلة "**بياتريس كنج**" لهذا السبب الذي ذكرت؟ ها هي قد حضرت في الوقت المناسب!

كانت "**بياتريس**" فتاة قصيرة القامة يدل مظهرها على المكر. ولكن من يراها لأول وهلة يعتقد أنها غبية مأفونة، لولا عيناها وما تنمان عنه من خبث ودهاء يخيبان رجاء من يحاول الحصول منها على أية معلومات.

قالت "**بياتريس**":

– لا أعرف شيئا على الإطلاق ولست مسؤولة عما تتناقله الألسنة ولا أعرف قصدك من سماع حديث الدكتور "**أولدفيلد**" والآنسة "**جان**". لست من هؤلاء اللاتي يسترقن السمع، ويجدن الإنصات إلى حديث الآخرين، وليس من حقك أن تقول عني إني كذلك. فإني لا أعرف شيئًا بالمرة!

فقال "**بوارو**":

– ألم تسمعي أبداً شيئا عن التسمم بالزرنيخ؟

فتهللت أسارير الفتاة وقالت:

– نعم. لعله الذي كان موضوعًا في زجاجة الدواء!

– أية زجاجة دواء؟!

فقالت "**بياتريس**" :

– إحدى زجاجات الدواء التي كانت تجهزها الآنسة "**جان**" . كانت تذوقها وتشمها ثم تعود فتصبها في البالوعة وتملأها من صنبور الماء وتضيف إليها شيئًا آخر فلا يتغير المزيج عن لون الماء. وذات مرة قدمت للسيدة قدحًا من الشاي، فشعرت بتغير في طعمه، فزعمت الآنسة أن الشاي لم يصنع بالماء المغلي. هذا ما شاهدته بعيني وربما توجد أشياء تخفى عليّ..!

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– هل تحبين الآنسة "**جان**" يا "**بياتريس**"؟

– لا يعنيني أمرها على كل حال. لقد كانت تحب الدكتور، وكان يكفي أن ترى نظراتها إليه لكي تدرك أنها تحبه.

فهز "**بوارو**" رأسه مرة أخرى ثم عاد إلى الفندق؛ ليصدر تعليماته إلى خادمه الخاص "**جورج**" .

◆◆◆◆◆

فرك الدكتور "**آلان جارشيا**" الطبيب الشرعي يديه ورمق "**بوارو**" بنظرة خاطفة، ثم قال:

– أظن أن النتيجة مؤيدة لوجهة نظرك الصائبة.

فقال "**بوارو**" :

– إنك تحسن الظن بي إلى حد بعيد!

– ما الذي أوحى إليك بذلك؟ الإشاعات طبعا؟!

– كما تقول بالضبط؛ لأن الإشاعات تعطينا صورة واضحة لما تتناقله الألسنة.

وفي اليوم التالي استقل "**بوارو**" القطار إلى "**لوجبرو**" فوجدها هائجة كخلية

النحل. لم يكن لأهلها حديث سوى نبش قبر السيدة "**أولدفيلد**" وإخراج جثتها للتشريح.

وبعد أن فرغ "**بوارو**" من طعامه بالفندق قيل له إن سيدة في انتظاره.

كانت تلك السيدة هي الممرضة "**هاريسون**". دخلت عليه شاحبة اللون، متجهمة الوجه وسألته:

– هل هذا صحيح؟ هل هذا صحيح يا سيد "**بوارو**"؟

وبعد أن جلست قال لها "**بوارو**":

– نعم. لقد ثبت من التشريح وجود كمية كبيرة من الزرنيخ...

فصاحت الآنسة "**هاريسون**":

– لا أظن.. لا أظن مطلقا...

ثم انفجرت باكية.

فقال "**بوارو**" بلطف:

– لابد للحق أن يظهر كما تعلمين.

– هل سيشنقونه؟

– لا نزال نحتاج إلى أدلة قوية.

– لماذا لا تفرض أنه من هذه التهمة بريء؟

فهز "**بوارو**" كتفه وقال:

– في هذه الحالة سيهجره زبائنه.

فقالت الآنسة "**هاريسون**" ببطء:

– كان ينبغي أن أخبرك منذ أول الأمر، ولكني لم أظن أن في المسألة جريمة.

فقال "**بوارو**":

– ولكني كنت أجزم بذلك. وأرجو أن تخبريني بما تعلمين..

– كنت ذاهبة ذات مرة إلى الصيدلية فوجدت الآنسة "**جان**" تعمل شيئا غريبا..

– نعم..

– كانت واقفة بجوار دولاب العقاقير السامة، وبيدها زجاجة أخذتها منه وراحت تصب قليلا منها في علبتها الصغيرة، ولكنها بمجرد أن رأتني وضعت العلبة في حقيبتها، ثم أسرعت فوضعت الزجاجة في الدولاب حتى أنني لم أستطع التحقق من نوعها، ولم أتمكن من إدراك مغزى تلك الحركة إلا الآن، وعندما علمت أن السيدة "**أولدفيلد**" ماتت مسمومة..

وعندما فرغت الآنسة "**هاريسون**" من حديثها قال لها "**بوارو**" :

– أستميحك عذراً يا سيدتي.

ثم توجه لطلب مفتش بوليس "**بركشير**" بالتليفون وعاد ثانيا، وبقيا صامتين لحظة.

كان "**بوارو**" يطيل النظر إلى الآنسة.. ويصغي إليها وهي تتحدث بصوت خافت:

– كانت "**جان**" تخشى نتيجة هذا التشريح. ولكن الحقيقة ظلت ثابتة على الرغم من كل شيء. إنها فتاة حمقاء أحبت رجلاً كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة.. وكانت الزوجة على الرغم من مرضها العضال يمكن أن تعيش طويلاً.

فتنهد "**بوارو**"..

فقالت الآنسة "**هاريسون**" :

– فيم تفكر؟

– أفكر في هذه المأساة.

فقالت الآنسة "**هاريسون**" :

– لا أظن مطلقاً أن الدكتور كان يعرف شيئاً عن هذه الجريمة.

قال "**بوارو**" :

– كلا. وأنا متأكد من ذلك أيضاً.

وهنا فتح الباب ودخل رجل البوليس السري الرقيب "**كراي**" يحمل في يده

شيئًا ملفوفًا في منديل حريري، وكان ذلك الشيء علبة صغيرة..

فقالت الآنسة "**هاريسون**":

– لقد رأيت هذه العلبة ذات مرة!

فقال الرقيب "**كراي**":

– وجدتها في درج المكتب الخاص بالآنسة "**جان مونكريف**" ملفوفة في منديل ولم تظهر بها أثر البصمات..

وفتح العلبة وهو لا يزال يمسكها بالمنديل، ثم نظر إلى ما بداخلها وقال:

– أليس هذا مسحوقًا للوجه؟

وغمس فيه أصبعه ثم ذاقه بطرف لسانه وقال:

– طعمه عادي.

فقال "**بوارو**":

– ليس للزرنيخ الأبيض أي طعم..

فقال الرقيب "**كراي**":

– سنجري تحليله حالا. ثم التفت إلى الآنسة "**هاريسون**" وقال:

– هل تقسمين أن هذه هي العلبة التي رأيتها؟

– نعم أقسم أن هذه هي العلبة التي رأيتها مع الآنسة "**جان مونكريف**" في الصيدلية قبل وفاة السيدة "**أولدفيلد**" بأسبوع تقريبا..

فتنهد الرقيب "**كراي**". ودق "**بوارو**" الجرس فجاءه الخادم وقال له:

– أرجو أن ترسل إليَّ "**جورج**".

فدخل "**جورج**" وهو ينظر إلى سيده نظرة استفهام.

فقال "**بوارو**":

– لقد عرفت علبة المسحوق يا آنسة **هاريسون**" وقلت إنها كانت مع الآنسة "**جان**" منذ عام. ولكنك ستدهشين إذا علمت أن هذه العلبة قد بيعت من محل "**ولورث**" منذ بضعة أسابيع، وأنها من طراز لم يبدأ إنتاجه إلا منذ ثلاثة

أشهر!

فلم تحر الآنسة "**هاريسون**" جوابًا ونظرت إلى "**بوارو**" بعينين داكنتين. وقال "**بوارو**" :

– هل رأيت هذه العلبة من قبل يا "**جورج**" ؟

فتقدم الخادم خطوة إلى الأمام وقال :

– نعم يا سيدي. فقد راقبت هذه السيدة وهي تشتريها من محل "**ولورث**" يوم الجمعة 18 الجاري، ثم اقتفيت أثرها حسب إرشاداتك فاستقلت الأوتوبيس إلى "**دارننجتون**" حيث منزل الآنسة "**جان مونكريف**"، وسرت وراءها حتى دخلت المنزل فرأيتها تدخل غرفة النوم، وتخبئ هذه العلبة في درج المكتب، ثم تركت المنزل وهي تعتقد أنها بمنجى من الرقابة. ويمكنني أن أقول إنهم لا يغلقون أبوابهم في هذه القرية.

وكان الوقت حينذاك في الغسق. فقال "**بوارو**" للآنسة "**هاريسون**" :

– هل يمكنك دحض هذه الحقائق؟ لا أظن.. لم يكن في العلبة زرنيخ عندما اشتريتها من محل "**ولورث**"، وإنما وضع فيها الزرنيخ بمنزل الآنسة "**بريستو**" .

ثم قال بصوت خافت :

– ليس من الحكمة أن تحتفظي بهذا القدر من الزرنيخ!

فدفنت الآنسة وجهها بين يديها، وقالت بصوت خافت :

– نعم لقد قتلتها. لقد قتلتها وبلا فائدة. لقد كنت مجنونة آثمة!

◆◆◆◆◆

قالت "**جان مونكريف**" :

– أرجو أن تغفر لي يا سيد "**بوارو**" فقد كنت غاضبة منك. وكان يلوح لي أن جميع تصرفاتك تزيد الموقف سوءًا.

فقال "**بوارو**" وهو يبتسم :

– لم يكن لي مفر من البدء بتلك الطريقة.. هكذا كانت تقول الأساطير بأنه كلما قطعت رأسًا من رؤوس الأفعوان نبت في مكانه رأسان.. ولهذا رأينا الإشاعات تنمو وتتضخم، فكان من واجبي أن أصل إلى الرأس الأول.. إلى مصدر هذه الإشاعات.. وبعد وقت قصير اكتشفت أنها كانت الآنسة "**هاريسون**"..

توجهت لأراها فظهر لي أنها امرأة لطيفة ذكية، ولكنها أخطأت حين ذكرت لي أنها سمعت حكاية حديثك مع الدكتور. وقد كانت حكاية مختلقة..

فلو كنتما حقيقة تتآمران على قتل السيدة، فإنكما من الذكاء بحيث لا تتآمران في غرفة مفتوحة الأبواب، وبجواركما الخادمة والممرضة تروحان وتجيئان..

كما أن الكلمات التي عُزيت إليك لا تصدر عن فتاة في مثل سنك وإنما هي كلمات امرأة كبيرة مثل الآنسة "**هاريسون**" التي يصح أن تقولها في مثل هذه الظروف..

وهنا وضحت لي الحقيقة.. فلا تزال الآنسة "**هاريسون**" على جانب من الجمال. وقد عاشرت الدكتور "**أولدفيلد**" ثلاث سنوات كانت في خلالها موضع تقديره لعنايتها وعطفها على زوجته، حتى اعتقدت أنه سيطلب يدها بعد وفاتها. ولكن خاب ظنها حينما علمت أنه بدأ يحبك فراحت تروج الإشاعات بأن الدكتور قد سمَّ زوجته.

فعندما عرضت عليّ القضية في أول الأمر قلت لنفسي إن في المسألة مكيدة نسائية. ثم قررت أن أقوم بالبحث، فلا دخان بدون نار..

لقد دهشت حقًّا لقيام الآنسة "**هاريسون**" بما هو أخطر من هذه الإشاعات.. فقد لفت نظري بعض ما ورد في حديثها.

أخبرتني ذات مرة أن مرض السيدة "**أولدفيلد**" كان معظمه وهما، وأنها لم تكن تعانيه كثيراً. ولكن الدكتور لم يشك في أنها كانت حقًّا مريضة، فلم

تذهله وفاتها. لقد استدعى قبيل وفاتها أحد زملائه الأطباء ثم استدعى زميلاً آخر، فكان قرارهما أن الحالة خطيرة جداً.

وعندما عرضت عليها فكرة تشريح الجثة خافت أولاً، ولكن رغبتها في الكيد والانتقام دفعتها إلى تشجيعي لاعتقادها بأن أحداً لن يرتاب فيها.. وأن أصابع الاتهام ستشير حتما إلى الدكتور وإليك.. ولم يبق هناك سوى أمل واحد. هو أن تقدم الآنسة "**هاريسون**" على عمل طائش لإلصاق التهمة بك؛ ولذلك أمرت "**جورج**" بمراقبتها..

فقالت "**جان مونكريف**" :

– إنك لمدهش حقًا.

وقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– إني لعاجز عن شكرك. فكم كنت غبيًا!

فقال "**بوارو**" :

– وهل كنت أنت غبية كذلك يا آنسة؟

فقالت "**جان**" :

– كنت في شدة الخوف والاضطراب. فقد وجدت الزرنيخ في الدولاب فعلا؟

فصاح الدكتور "**أولدفيلد**" :

– "**جان**".. ألم تظني..؟

– كلا. لم أشتبه فيك، وإنما ظننت أن السيدة "**أولدفيلد**" قد اشترت الزرنيخ لتأخذ منه قليلا فتشتد عليها الأوجاع لتستدر عنايتك بها وعطفك عليها. وإنها أخطأت في النهاية وتناولت كمية أكبر.. وكنت أخشى أن يكشف التشريح عن وجود أثر للسم بالجثة فتصبح النتيجة وبالاً علينا. ولهذا لم يرد على لساني قط أي ذكر للزرنيخ والمدهش في هذه المسألة أنه لم ترد على خاطري أبدا أية فكرة عن الآنسة "**هاريسون**". فهي آخر من أشتبه فيها.

فقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– وأنا أيضا؛ لأنها امرأة اكتملت فيها صفات الأنوثة الرحيمة.. فقال "**بوارو**" بحزن:

– نعم.. ربما كانت صفاتها تؤهلها لتكون زوجة وفية، وأما رحيمة.. ولكنها وقعت تحت تأثير دوافع لم تستطع مقاومتها. وهذا يبعث على الأسف.

ثم نظر مبتسما إلى الرجل الكهل، وإلى الفتاة التي تفيض رقة وشبابا.. وقال لنفسه: لقد أثمرت جهودي وكانت نعمة وبركة على هذين الشخصين..!

-3-

المفقودة

ضغط "**بوارو**" قدميه على الأرض محاولاً تدفئتهما.. وتساقطت من شاربه نقط من ذوبان الجليد..

وسمع طرقًا على الباب ظهرت بعده الخادمة..

كانت فتاة ريفية تميل إلى السمنة أخذت تنظر بدهشة إلى "**بوارو**". وكأنها لم ترَ شخصاً على شاكلته من قبل!

سألته قائلة:

– هل دققت الجرس؟

– نعم.. أرجوك أن توقدي لي ناراً!

فخرجت وعادت مسرعة تحمل ورقًا وأعواداً من الخشب وضعتها في المدفأة وبدأت توقدها.. وراح "**بوارو**" يضغط على قدميه ويفرك يديه ويقربهمامن وهج النار..

لقد قطع مسافة 2.5 كم في طريق وعر يكسوه الجليد، واضطر أن يمشي طول هذه المسافة؛ لتعطل سيارته حتى وصل إلى قرية "**هارتلي دين**" الواقعة على

شاطئ النهر..

وهذه القرية المشهورة بجمالها في الصيف يفر منها الإنسان في الشتاء.. ولقد روع "**بوارو**" عندما أخبره صاحب الفندق أن في إمكانه أن يقدم إليه سيارة أخرى يتم بها رحلته..

كيف يخرج على مألوفه ويستأجر سيارة؟ بينما هو يملك سيارة.. وسيارة غالية الثمن، هو مصمم على العودة بها إلى المدينة. لن يعود إلا في الصباح حيث يكون الجليد قد ذاب.. والسيارة قد تم إصلاحها..

مد "**بوارو**" قدميه بالقرب من المدفأة وهو يمسك بيده قدحًا متواضعًا يرشف منه سائلاً أسود قيل إنه قهوة. ولكن لهب النار وحرارتها جعلاه يشعر كأنه في جنة الخلد.. حتى نسي الطعام الرديء الذي أكله والقهوة القذرة التي شربها!

وطرقت الخادمة الباب، ودخلت وهي تقول:

– رجل من الجراج يريد مقابلتك يا سيدي.

– دعيه يدخل..!

ودخل شاب.. عليه مسحة من الوسامة والبساطة كأنه من أحفاد آلهة الإغريق.. قال:

– لقد فحصت العربة وعرفت الخلل الذي بها ويستغرق إصلاحه نحو ساعة..

– ما ذلك الخلل؟

فأخذ الشاب يتحدث عن أشياء فنية لا تهم "**بوارو**" كثيرًا، وراح هذا يهز رأسه كأنه منتبه لما يقوله الشاب. بينما هو في الحقيقة غير مدرك لحديثه..

ثم قال لنفسه: إنه أحد آلهة الإغريق، أو راعٍ صغير من "**أركاديا**" السحرية!!

وأخذت عيناه تضيقان قليلاً، ثم قال:

– لقد فهمت.. نعم فهمت لأن سائق سيارتي أنبأني بكل ما قلت.

فرأى حمرة الخجل تعلو وجه الشاب الذي تناول القبعة بيده في شيء من الاضطراب، وسمعه "**بوارو**" يقول:

– نعم يا سيدي.. أنا أعرف.

فقال "**بوارو**":

– ولكنك استحسنت أن تحضر بنفسك لتخبرني بالمطلوب..

– نعم يا سيدي.. لقد فضلت أن أحضر بنفسي..

فقال "**بوارو**":

– أشكر لك عنايتك الزائدة..

كانت هذه الكلمات تحمل معنى الإذن للشاب بالانصراف.. ولكنه لبث واقفا في مكانه.. ثم أمسك بقبعته وتنحنح، وقال بنبرات يبدو فيها الارتباك:

– أستميحك عذراً يا سيدي. ألست أنت السيد "**بوارو**" البوليس السري الخاص المعروف؟

– نعم أنا.. "**بوارو**"..

فاحمر وجه الشاب وقال:

– قرأت عنك مرة في الجرائد..

– نعم..!

فتغير لون الشاب وانتبه "**بوارو**" فقال له:

– نعم.. ولكن لماذا تسألني؟

– أخشى أن تظن أن اضطرابي إنما هو نتيجة الخوف.. ولكن الحقيقة أن حضورك الفجائي إلى هذه القرية وما سبقه من ذيوع لشهرتك في تحقيق الجنايات، وقراءتي شيئًا عنها في الجرائد، كل هذا جعلني أرغب في سؤالك أمراً. هل ثمة مانع؟

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– هل تريد مني أن أساعدك في شيء ما؟

فقال الشاب متردداً:

– نعم.. نعم.. سيدة شابة أرجو البحث عنها.

– البحث عنها؟! هل اختفت..؟

– نعم يا سيدي.. إنها اختفت.

فاعتدل "**بوارو**" على كرسيه وقال بحدة:

– يمكنني أن أساعدك.. ولكني أفضل أن تذهب إلى رجال البوليس؛ لأن وسائلهم أكثر يسراً..

– لا يمكنني أن أفعل ذلك يا سيدي؛ لأن المسألة لها طابع خاص.

فحملق إليه "**بوارو**" وأشار إليه بالجلوس وقال:

– حسناً. ما اسمك إذن؟

– "**تيد وليمصن**" يا سيدي..

– اجلس يا "**تيد**"، وأخبرني بكل شيء.

فشكره الشاب وجلس على حافة المقعد، وقال له "**بوارو**" بهدوء:

– أخبرني.

فتنهد "**تيد**" تنهدة عميقة، وقال:

– لم أرها غير مرة واحدة.. لم أعرف اسمها ولا حقيقتها. فقال "**بوارو**":

– اسرد عليّ القصة من أولها.. لا تتعجل.. قل كل ما حدث لك!

– حسنا يا سيدي.. لعلك تعرف نادي "**جرسلون**" الواقع على شاطئ النهر بالقرب من القنطرة..؟

– لا أعرف شيئًا على الإطلاق..

– يملك هذا النادي السيد "**جورج صاندرفيلد**" الذي يقضي فيه عطلة الأسبوع في الصيف، مع جمهرة من الممثلات وبعض أصدقائه للهو والقفز. وقد استدعيت في شهر حزيران (يونيو) الماضي لإصلاح خلل بالراديو.

فهز "**بوارو**" رأسه.. واستمر الشاب يقول:

– ذهبت في الحال.. وكان صاحب القصر على شاطئ البحر مع ضيوفه..

والطباخ قد خرج لبعض شؤونه.. فلم أجد سوى مساعده يعد المائدة للغداء وإحدى الوصيفات.. أخذتني الوصيفة إلى مكان الجهاز وجلست بجواري أثناء قيامي بإصلاحه.. وتحدثنا بالطبع سويًّا.. كان اسمها "**فاليتا**" حسب قولها.. وإنها وصيفة لراقصة روسية كانت مع الضيوف حينذاك..

– ما جنسيتها..؟ هل كانت إنجليزية..؟

– كلا يا سيدي. بل أظن أنها فرنسية.. ففي نبرات صوتها عذوبة وظرف، وهي تجيد الإنجليزية.. وتوطدت بيننا الصداقة.. فدعوتها لتذهب معي إلى السينما.. ولكنها اعتذرت؛ إذ ربما تحتاج إليها سيدتها.. ثم عادت فقبلت دعوتي.. بعد أن حددت الموعد المناسب لها.. وكانت نزهة جميلة على شاطئ النهر.

ثم صمت الشاب قليلا، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عذبة.. وغامت في عينيه لمحة من الذكريات!

فقال "**بوارو**" في هدوء:

– هل كانت جميلة؟

– لم أر في حياتي شيئا أحب منها إلى قلبي.. لن أنسى شعرها الذهبي وهو يتماوج مع النسيم كأنه أجنحة ذهبية، ولا ظرف حديثها وعذوبة صوتها.. لقد أسرتني بجمالها وأصبحت لا أريد من هذا الوجود شيئًا سواها..! فهَزّ "**بوارو**" رأسه.. وتابع الشاب يقول:

– لقد وعدتني بقضاء لحظات ممتعة أخرى عندما تحضر مع سيدتها في المرة القادمة بعد أسبوعين.. ولكنها لم تحضر إلى مكاننا الموعود وانتظرتها طويلاً بغير جدوى، وعندما يئست تجرأت وذهبت إلى النادي وسألت عنها.. فقيل لي: إن الراقصة الروسية قد حضرت ومعها خادمتها..

وبعد قليل جاءتني خادمة أخرى.. دميمة الخلقة، بدينة الجسم وقالت إن اسمها "**ماري**".. أما الوصيفة السابقة فقد طردت..!

كدت أصعق.. وأسقط في يدي. فماتت الكلمات على شفتي وعدت أدراجي، ولكني تشجعت وعدت ثانية أسأل "**ماري**" عن عنوان "**فاليتا**" ووعدتها بمكافأة سخية، فعادت بعد قليل تخبرني أنها بشمال "**لندن**" فأرسلت إليها خطاباً رده إليّ مكتب البريد بعد بضعة أيام، ثم أتبعته بآخر فكان حظه مثل حظ أخيه..

ثم صمت لحظة ونظر إلى "**بوارو**" بعينيه الغائرتين، وقال:

– أظن أنه يتبين لك مما ذكرت أن مسألتي هذه لا تصلح للعرض على البوليس. وأنا مستعد أن أدفع لك عشرة جنيهات إذا استطعت الحصول على فتاتي..

فقال "**بوارو**" :

– لا ضرورة لأن نتناول الناحيةالمالية الآن. ولكني أريد أن أسألك سؤالاً واحداً:

– هل هذه الفتاة المدعوة "**فاليتا**" تعرف اسمك وعملك؟

– نعم يا سيدي..

– هل في إمكانها الاتصال بك إذا أرادت..؟

– نعم..

– هل تظن أنها.. ربما..

فقاطعه "**تيد**" قائلاً:

– أظنك تعني يا سيدي أنها لا تحبني كما أحببتها.. ربما.. ولقد فكرت في هذا طويلاً، وأنا واثق بأنها كانت تميل إليّ.. لابد أن يكون هناك شيء شغلها.. إنها كانت تعيش في بيئة سيئة.. ولعلها تورطت في بعض المتاعب.. هل تفهم ما أعني؟

– لعلك تريد أن تقول إنها ستضع طفلاً عما قريب.. هل هو منك؟

– كلا يا سيدي.. فلم تكن بيننا علاقة آثمة..!

فنظر إليه "**بوارو**" طويلاً وقال:

– إذا كان ما تظنه حقيقة.. فهلا تزال راغبًا في العثور عليها؟

فاحمرَّ وجه "**تيد**" وقال:

– نعم.. وأريد أن أتزوجها إذا شاءت، ولا يعنيني ما تكابده الآن.. أرجوك يا سيدي أن تجدها لي وحسب..!

فابتسم "**بوارو**" وقال لنفسه:

– شعر كأجنحة ذهبية.. سيكون الكشف عن هذه المسألة من المعجزات.

نظر "**بوارو**" في ورقة مكتوب فيها عنوان الآنسة "**نيتا فاليتا**" « 17 وينفرولين رقم 15 » وهو لا يدري إذا كان هذا العنوان الذي قدمه إليه "**تيد**" سيهديه إلى ضالته.

هل إلى المنزل رقم 15 المذكور.. وفتحت له الباب امرأة بدينة فسألها:

– آنسة "**فاليتا**"؟

– تركت هذه الدار منذ عهد طويل.

فتقدم "**بوارو**" خطوة إلى داخل المنزل، وقال:

– هل يمكنك أن تعطيني عنوانها؟

– لا.. فهي لم تتركه لنا..

– متى رحلت عن هذه الدار؟

– في الصيف الماضي..

– هل يمكنك أن تخبريني بالتحديد؟

وهنا سمع رنين نقود في يد "**بوارو**".. فسال لعاب المرأة واختفى عبوسها ثم قالت:

– أؤكد لك يا سيدي أني أريد مساعدتك.. ربما كان ذلك في شهر آب (أغسطس).. أعتقد أنه قبل هذا التاريخ، نعم في شهر تموز (يوليو).. لقد رحلت مسرعة في الأسبوع الأول من تموز (يوليو).. رحلت إلى "**إيطاليا**" على

ما أظن..!

– إذن هي إيطالية الجنسية؟

– نعم يا سيدي.

– وكانت في وقت ما وصيفة لراقصة روسية..

– هذا حقيقي.. إنها السيدة "**ساموشينكا**"، وكانت ترقص في ملهى "**تيسبيان**".. وقد غزت قلوب رواد الملهى.

فقال "**بوارو**":

– هل تعرفين لماذا تركتها الآنسة "**فاليتا**"؟

فترددت المرأة قليلا، ثم قالت:

– لا أعرف – لعلها قد طردت. ربما حدث بينها وبين سيدتها شيء ما لم تفصح "**فاليتا**" عنه. ولكنها كانت شديدة الغضب، ولعلها لم تدع الأمور تمضي بسلام. فهي بطبيعتها الإيطالية الحادة وعينيها السوداوين، لا تحجم إذا غضبت عن أن تطعن جسمها بسكين. ولهذا لم أكن أعارضها عندما تثور.

– هل تجزمين بأنك لا تعرفين عنوانها الحالي؟

ورنت النقود في يده ثانية. فتشجعت وقالت:

– أشعر برغبة في مساعدتك، ولكنها رحلت على جناح السرعة وهناك...

فقال "**بوارو**" لنفسه:

– نعم هناك..!

◆◆◆◆◆

كان "**أمبروز فاندل**" منهمكًا في عمل التصميمات اللازمة لحفلة الرقص المقبلة عندما التفت إلى "**بوارو**" وقال له:

– "**صاندرفيلد**"..؟ "**جورج صاندرفيلد**".. ذلك الثري المعروف، إنه رجل سيئ السمعة وله علاقة مع الراقصة "**كاترينا ساموشينكا**".. هل رأيتها..؟ هي

فاتنةحقًّا..! وما أروعها حينما ترقص في هذه الثياب التي أضع تصميمها مع "**ميشيل نوفجين**" !

– هل توجد علاقة بين هذه الراقصة و"**صاندرفيلد**" ؟

– نعم.. فقد اعتادت أن تقضي معه عطلة الأسبوع في قصره القائم على ضفة النهر حيث يقيم حفلات فخمة.

– هل يمكنك أن تعرفني إلى الآنسة "**ساموشينكا**" ؟

– أنا آسف.. فقد رحلت إلى "**باريس**" فجأة.. إذ أشيع عنها أنها جاسوسة روسية.. ولكنني لم أصدق ذلك؛ لأن "**كاترينا**" تبغض الشيوعيين وتدعي أنها من الروس البيض وابنة أحد أمرائهم..

◆◆◆◆◆

كان السيد "**جورج صاندرفيلد**" قصير القامة، مجعد الشعر، غليظ العنق، قابل "**بوارو**" بشيء من الفتور. وقال له:

– ماذا يمكنني أن أفعل لك..؟ نحن لم نلتق قبل الآن؟

فأجابه "**بوارو**" :

– لا، نحن لم نلتق فعلا..

– إذن فماذا تريد؟

– المسألة بسيطة.. أريد الحصول على معلومات تافهة جداً.

فضحك السيد "**صاندرفيلد**" على الرغم منه وقال:

– أتريد أن أفضي إليك بمعلومات تفيدك في شؤونك المالية؟

– ليست المسألة خاصة بالشؤون المالية.. ولكنها متعلقة بامرأة!

– امرأة؟؟

ثم اضطجع على كرسيه إلى الوراء وبدا عليه الارتياح.

وقال "**بوارو**" :

– أظنك كنت صديقًا للآنسة "**كاترينا ساموشينكا**"؟؟ فضحك السيد "**صاندرفيلد**" وقال:

– نعم.. فتاة ساحرة.. ولكنها مع الأسف رحلت من "**لندن**".

– لماذا رحلت؟

– لا أدري.. ويؤسفني أني لا أستطيع أن أساعدك؛ لانقطاع الأسباب بيني وبينها.

فقال "**بوارو**":

– ولكن أمر الآنسة "**ساموشينكا**" لا يعنيني.

– من تريد إذن..؟

– وصيفتها.. لعلك تذكرها.

فلاح عليه الضيق والحرج وقال:

– كيف أذكر ذلك..؟ أنا أفهم أنها دائما تحتفظ بإحدى الوصيفات وكانت عندها وصيفة لا تعرف الصدق أبداً..!

فقال "**بوارو**":

– ولكن يلوح لي أنك تعرف عنها الكثير..؟

– كلا.. وإنما هي ذكريات باهتة. فأنا لا أتذكر اسمها.. ربما كان "**ماري**" أو أي اسم آخر.. ولهذا أجدني لا أستطيع مساعدتك في القبض عليها..

فقال "**بوارو**" بهدوء:

– لقد حصلت على اسم الوصيفة من ملهى "**تيسبيان**".. وهو "**ماري هيلين**". ولكني أتحدث عن وصيفة الآنسة "**ساموشينكا**" السابقة. وهي "**نيتا فاليتا**".

فحملق السيد "**صاندرفيلد**" وقال:

– لست أذكرها مطلقا.. ولكن **ماري**" هي الوصيفة التي أذكرها. دكناء اللون، عمشاء العينين.

فقال "**بوارو**" :

– الفتاة التي أعنيها كانت في قصرك المسمى "**جرسلون**" في حزيران (يونيو) الماضي . .

– حسنًا. كل ما أستطيع أن أقوله لك إنني لا أتذكر هذه الوصيفة . . لعلك مخطئ يا عزيزي .

فهز "**بوارو**" رأسه؛ لأنه يظن أنه لم يكن مخطئًا .

◆◆◆◆◆

ألقت "**ماري هيلين**" على "**بوارو**" نظرة هادئة، ثم كر بصرها إليه بلمحة سريعة، فقالت :

أذكر جيداً أنني اشتغلت عند السيدة "**ساموشينكا**" في الأسبوع الأخير من شهر حزيران (يونيو)؛ لأن وصيفتها السابقة كانت قد رحلت فجأة . .

– ألم تسمعي عن سبب رحيلها الفجائي؟

– كل ما أعرفه أنها رحلت فجأة . . ربما كان بسبب المرض . . أو أي سبب آخر لا أعلمه . . لأن السيدة لم تذكر عنها شيئًا . .

– هل كنت تستريحين لخدمة السيدة "**ساموشينكا**" ؟؟

فهزت الفتاة كتفيها وقالت :

– لقد كانت غريبة الأطوار . . تبكي وتضحك في آن . . ثم تبتهج وتبتئس في آن آخر، لا يمكن معرفة طباعها . . إنها كمعظم الراقصات، هكذا خلقن ! !

فسألها "**بوارو**" :

– وما رأيك في السيد "**جورج صاندرفيلد**" . . ؟

فغامت في عينيها سحابة حزن وأسى . . وقالت :

– لعلك تريد أن تعرف شيئًا عنه . . ؟ يمكنني أن أخبرك عنه أموراً غريبة . .

فقال "**بوارو**" :

– ليس ضروريا!

فنظرت إليه فاغرة الفم يتطاير من عينيها شرر الغضب الممزوج باليأس..!

◆◆◆◆◆

– إني أقول عنك دائما إنك لا تجهل شيئًا يا "**ألكس بافلوفيتش**"..!

قال "**بوارو**" هذه العبارة للكونت "**بافلوفيتش**" صاحب مطعم "**ساموفار**" بـ"**باريس**" يتملقه ويسترضيه؛ لأن البحث عن ضالته المنشودة كان يتطلب منه سفرًا طويلاً. ومجهوداً شاقًّا مضنيا، ولكن "**بافلوفيتش**" يمكن أن يوفر عليه ذلك؛ لأنه يزعم بأنه لا يفوته شاردة ولا واردة في دنيا الفنانات والراقصات..

فهز الرجل رأسه وقال:

– نعم يا سيدي.. أنا أعرف كل شيء حقيقة..أنت تسألني أين ذهبت الحسناء "**ساموشينكا**" الراقصة الفاتنة التي تأسر قلب الزاهد.

وهنا قبَّل الرجل أنامله، ثم عاد يقول:

– إنها تلهب الجماد. لقد تفوقت على قريناتها في العالم كله.. ثم اختفت فجأة وسينساها الناس.

فسأله "**بوارو**":

– أين هي الآن؟

– في "**سويسرا**".. ذهبت إلى هناك للاستشفاء.. من داء ذات الرئة الذي أضعف جسمها. وأذوى عودها حتى أصبحت كالأموات..!

فتنحنح "**بوارو**" وقال:

– ألم تعرف وصيفتها المدعوة "**نيتا فاليتا**"..؟

– "**فاليتا**"؟ "**فاليتا**"؟ نعم أذكر أنني رأيتها ذات مرة.. حينما كنت أودع "**ساموشينكا**" عند سفرها إلى "**لندن**".. إنها إيطالية الجنسية من بلدة "**بيسا**".. أليس كذلك؟

فقال "**بوارو**" لنفسه:

– إذن يجب أن أرحل إلى "**بيسا**"..!

◆◆◆◆◆

وقف "**بوارو**" في منطقة مقابر "**كامبو سانتو**" خاشعا.. في أحد قبورها المتواضعة ترقد ضالته المنشودة.. تلك الفتاة المرحة التي خلبت لب ذلك الشاب الإنجليزي الساذج..

هكذا ختمت قصتها الدامية. وستبقى صورتها حية في خيال ذلك الشاب المسكين، الذي لم ينعم بقربها سوى لحظات يسيرة في إحدى أمسيات شهر حزيران (يونيو) الماضي.

وهز "**بوارو**" رأسه في أسف عميق. وتوجه بالحديث إلى عائلتها الحزينة مع والديها الريفيين اللذين هدهما الحزن، وشقيقتها التي أحالها الوجد والأسى هيكلاً آدميًّا!

وقالت أمها الثكلى:

– لقد خطفها الموت يا سيدي.. كانت "**بيانكا**" تشكو من الزائدة الدودية.. وقد رآها الطبيب أخيراً فصمم على نقلها إلى المستشفى فورا؛ لإجراء جراحة سريعة لإزالة الزائدة الدودية.. وكأنما كان شبح الموت يتربص بها هناك.. ففاضت روحها أثناء العملية وهي في غيبوبة من تأثير البنج!

فقال "**بوارو**" لنفسه:

– كانت "**نيتا**" دائما ماهرة ذكية.. ومن المحزن أن تموت في هذه السن المبكرة، وستكون الرسالة التي سأحملها إلى حبيبها المسكين.. إنها لم تعد لك.. فقد ماتت.!

◆◆◆◆◆

أرخى الظلام سدوله.. ولم تعد لزهور الربيع نضرتها وبهجتها. ولكن الربيع وهو موسم الحياة وعيد الشباب له في النفوس دفعة.. وفي الأبدان حركة.. فهل يقنع "**بوارو**" بهذه النتيجة؟ لا يزال الشك يداعب خياله.

فتنهد طويلاً واستقر رأيه في النهاية على السفر إلى جبال الألب السويسرية؛ ليحسم هذه الشكوك.

هو الآن عند نهاية الدنيا.. حيث يغطي ركام الجليد كل شيء.. وهذه الأكواخ المبعثرة هنا وهناك تحوي هياكل آدمية تصارع الموت..

وصل أخيرًا إلى كوخ "**كاترينا ساموشينكا**".. رآها ممددة في فراشها غائرة العينين والخدين وقد أخرجت من تحت غطائها ذراعين هزيلتين..

لقد أثار هذا المنظر شجونه.. لقد نسي اسمها.. ولكنه لم ينس رقصاتها الفنية الرائعة. تذكر "**ميشيل نوفجين**" في رقصة لصياد يداور طريدته حينا.. ويطاردها أحيانا في تلك الغابة السحرية التي أخرجتها عبقرية "**أمبروز فاندل**" للنظارة كغابة حقيقية..

وتذكر الطريدة.. ذلك الغزال بقرنيه الذهبيين، وقدميه البرنزيتين يهرب من قناصه في خفة ورشاقة.. تذكر ذلك الغزال حين صرعه القناص فسالت دماؤه. وتذكر "**ميشيل نوفجين**" وهو يقف نادما أمام غزاله الجريح فيأخذه بين يديه كالواله المشدوه..!

نظرت "**ساموشينكا**" وهي في فراشها إلى "**بوارو**" وقالت:

– لم أرك قبل الآن.. ماذا تريد مني؟

فانحنى "**بوارو**" قليلاً وقال:

– أشكر لك يا سيدتي أولاً فنك الرفيع الذي أتاح لي رؤيتك في إحدى الليالي.

فابتسمت ابتسامة ضعيفة.. وقال "**بوارو**":

– جئت هنا لأبحث عن "**نيتا**" وصيفتك القديمة..؟

فاتسعت حدقتاها وسألته في دهشة:

- ماذا تعرف عن "**نيتا**"..؟!

- سأخبرك يا سيدتي.

وروى لها قصة الميكانيكي "**تيد**" من أولها إلى آخرها. وهي تصغي إليه بانتباه.. ولما انتهى قالت:

- إنها مأساة.. مأساة مؤثرة حقًّا!

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

- نعم.. إن مأساة "**أركاديا**" تعود إلى الحياة من جديد. ماذا تعلمين يا سيدتي عن هذه الفتاة؟

فقالت "**ساموشينكا**" وفي نبراتها حزن ظاهر:

- كانت عندي وصيفة تدعى "**جانيتا**" مرحة الطبع، طيبة القلب.. فحدث لها ما يحدث لأمثالها الغريرات فاغتالها الموت وهي صغيرة.. فأثارت هذه العبارة فضوله وسألها:

- هل ماتت؟

- نعم، ماتت.

وبعد لحظة سألها ثانية:

- ولكن هناك شيئا واحدا غاب عني فهمه.. وهو أني حيثما سألت السيد "**جورج صاندرفيلد**" عن فتاتك بدا عليه الاضطراب.. لماذا..؟

فظهرت على وجه الراقصة علامات الامتعاض وقالت:

- لقد قلت وصيفتي.. وربما يكون قد اعتقد أنك تعني "**ماري**" التي خلفت "**جانيتا**". وقد حاولت تلك الفتاة ابتزازه لأمور لاحظتها عليه. فقد كان من عادتها التجسس على أخبار الناس وقراءة رسائلهم. وبعد أن صمت "**بوارو**" لحظة قال:

- إذن فقد كانت "**فاليتا**" تحمل اسما آخر هو "**جانيتا**". وهي أيضًا قد ماتت

في "**بيسا**" إثر عملية استئصال الزائدة الدودية.

فقالت الراقصة بعد شيء من التردد:

– نعم هذه هي الحقيقة.

فقال "**بوارو**":

– ولكن أهلها يذكرونها باسم "**بيانكا**"..؟

فهزت الراقصة كتفيها وقالت:

– "**بيانكا**".. "**جانيتا**".. هذه مسألة لا تهمني. ولكني أظن أنها استظرفت الاسم فأطلقته على نفسها!

– أنت تظنين ذلك.. ولكني أعتقد أن في المسألة سرًّا..

– ما هو؟

فانحنى "**بوارو**" قليلاً وقال:

– الفتاة التي وصفها لي "**تيد**" كانت ذات شعر كالأجنحة الذهبية..!ثم اقترب من الراقصة ولمس شعرها بيديه وقال:

– أجنحة ذهبية أو قرون من ذهب. أجنحة كتلك التي كنت تبدين فيها ملاكًا أو شيطانًا، وقرون كتلك القرون الذهبية.. قرون ذلك الغزال الجريح..!فقالت "**كاترينا**" بصوت يائس حزين:

– الغزال الجريح..!

فقال "**بوارو**":

– لا يزال وصف "**تيد وليمصن**" يلقي في روعي حيرة بالغة. هذه الحيرة مصدرها أنت. أنت حينما كنت ترقصين بقدميك البرنزيتين في الغابة..

هل أخبرك بما يساورني يا آنستي؟ أظنك قد أمضيت أسبوعا دون أن تكون في خدمتك وصيفة.. وفي خلال هذا الأسبوع سافرت إلى "**جرسلون**"؛ لأن "**بيانكا فاليتا**" كانت قد تركتك وعادت إلى "**إيطاليا**" حيث ماتت في مقتبل العمر إثر عملية جراحية، وكنت لم تحصلي بعد على وصيفة جديدة.

وقد شعرت في ذلك اليوم بأعراض المرض فلم ترافقي الضيوف إلى شاطئ النهر بل بقيت وحيدة في المنزل..

– فسمعت الجرس يرن وذهبت لتنظري من القادم..

هل أقول لك من كان ذلك القادم..؟ كان شابًا في براءة الأطفال وجمال الآلهة!

فانتحلت أمامه لا اسم "**جانيتا**" بل اسم "**نيتا فاليتا**" ثم عشت وإياه بضع ساعات في الفردوس.

وهنا ساد بينهما سكون عميق.. قالت بعده "**كاترينا**" في صوت أجش:

– لعلك على حق.. ومصداقا لقصدك فإن "**نيتا**" ستموت أيضا في مقتبل العمر.

فقال "**بوارو**" وهو يضرب المنضدة بيده:

– كلا لا تموتي.. يجب أن تصرعي الموت وتكافحي من أجل الحياة الجميلة.

فهزت رأسها في يأس وحزن وقالت:

– لكن.. أي حياة تنتظرني..؟

– ليست حياة المسرح.. ولكنها حياة أخرى.. تعالي معي يا آنستي.. وأرجو أن تصدقيني القول.. هل كان أبوك أميرًا أو دوقا أو جنرالا عظيما؟!

فضحكت وقالت:

– كان سائق لوري في "**لينينجراد**"!

– حسنًا. ولماذا لا تكونين زوجة لذلك الميكانيكي القروي، وتنجبين منه أطفالاً حسانًا كالآلهة؟ لهن أقدام تؤهلهن لتلك الرقصة الرائعة التي كنت ترقصينها؟

فأمسكت "**كاترينا**" أنفاسها ثم قالت:

– إنها لفكرة خيالية..!

فقال "**بوارو**":

– أعتقد أنها ستتحقق.

- 4 -

السفاح "ماراسود"

بعد أن انتهى "**بوارو**" من عمله في "**سويسرا**"، جاشت في صدره رغبة قوية في زيارة بعض المعالم التي لم يرها، فقضى يومين في "**شامونيكس**" ويومًا في "**مونترو**"، ثم ذهب إلى "**أندرومات**" التي كان أصدقاؤه يسرفون في مدحها.

وجدها تقع في نهاية واد سحيق تحيط به جبال تكللها الثلوج، فشعر فيها بانقباض شديد..

لم يجد مندوحة من الرحيل فوراً.. صعد به القطار إلى "**ليزافين**"، ثم "**كاروشيت**" وبعد ذلك إلى "**روشتنج**" التي تقع على ارتفاع (ثلاثة آلاف متر) فوق سطح البحر.

لم يظن "**بوارو**" أن الرحيل سيصل به إلى هذا المرتقى البعيد. وبينما هو في القطار مر به المفتش وأشر على تذكرته، وأعادها إليه، فوجد معها ورقة صغيرة. مكتوبة بالقلم الرصاص، قرأ فيها ما يلي:

«لن أخطئ هذا الشارب. أحييك أيها الزميل العزيز. أرجو إذا رغبت أن تساعدني في مهمة تروقك. لعلك قرأت شيئًا عن جريمة "**سالي**"؟ السفاح "**ماراسود**" سيلتقي مع أفراد عصابته في "**روشتنج**"، فأرجو أن تكون متيقظًا يا صديقي. اتصل بالمفتش "**دراوث**" فإنه رجل عبقري وإن لم يبلغ حد عبقريتك. يجب أن تبذل أقصى الجهود للقبض على السفاح الخطير "**ماراسود**". لا أستطيع التحدث إليك في "**أندرومات**"؛ لأن عيون ذلك السفاح تراقبني في كل مكان. ولكنك أكثر مني حرية؛ إذ يحسبونك سائحًا. صديقك "**ليمنثيل**".

وما إن انتهى من القراءة حتى فتل شاربه الذي يميزه عن سائر الرجال.

لقد سبق أن قرأ في الصحف عن جريمة " **سالي** " . قرأ نبأ ذلك السفاح الذي قتل الناشر الباريسي؛ وقد عرفت أوصاف القاتل وثبت أنه عضو في عصابة خطيرة، وقد اشتُبه في اشتراكه في كثير من الجرائم، ولكن التهمة هذه المرة ثابتة عليه.

ولكنه هرب من "**فرنسا**" والبوليس يبحث عنه في كل مكان من القارة الأوربية.. ويبدو الآن أنه على موعد مع عصابته في "**روشتنج**" ..

هز "**بوارو**" رأسه قليلاً ولاحت عليه الحيرة؛ لأن "**روشتنج**" في منطقة لا تتصل بالعالم إلا بخط حديدي صغير، ولا يفتح فندقها إلا ابتداء من حزيران (يونيو) حتى آب (أغسطس) ثم تصبح طوال العام قاعًا صفصفًا، فاجتماع العصابة في هذه البقعة المهجورة لمما يثير المخاوف..

ولكن "**قومسيير**" البوليس السويسري رجل عاقل صادق فيما كتبه. إذن فلابد أن يكون هناك أمر حدا بـ"**ماراسود**" إلى الاجتماع بعصابته في ذلك المكان النائي.

تنهد "**بوارو**"؛ إذ لم يدر بخلده أن مثل هذه المهمة الخطيرة، مهمة القبض على ذلك الدب البري كانت تنتظره في وقت ينشد فيه الراحة.

كان الرجل الجالس أمامه في القطار سائحًا أمريكيًّا يبدو من هيئته أنه من إحدى البلدان الأمريكية الصغيرة، ويزور "**أوربا**" للمرة الأولى ولم تخطئ فراسة "**بوارو**" حينما تحدث إلى جاره.

وفي الجانب الآخر من العربة كان يجلس رجل وخط الشيب شعر رأسه، طويل القامة، كبير الأنف معقوفه، يقرأ في كتاب باللغة الألمانية ويبدو من شكل أصابعه أنه موسيقي أو جراح..

وفي ناحية أخرى كان يجلس ثلاثة رجال، لا يختلفون كثيراً في هيئتهم وكانوا يلعبون الورق، فدخل شخص تداول وإياهم المكسب والخسارة..

لم يبد على أولئك الثلاثة ما يدعو إلى الغرابة سوى زيهم الذي لا يلائم إلاّ

حلبة السباق.. وهناك في جانب آخر كانت تجلس امرأة طويلة سمراء جميلة المحيًا، غامضة الملامح على الرغم من وسامتها. لا تنظر إلى أحد؛ لأن عينيها كانتا متجهتين دائمًا إلى الوادي..

بدأ الرجل الأمريكي يتكلم فعرف "**بوارو**" أن اسمه "**شوارتز**" وأن المناظر الأوربية البديعة أعجبته كثيرًا..

وعندما وقف القطار عند محطة "**كاروشيت**"، لم يغادره أحد من الركاب. فجميعهم ذاهبون إذن إلى "**روشتنج**".

وقال السيد "**شوارتز**" إنه يحب دائما أن يصعد إلى القمم العالية وليست ثلاثة آلاف متر بالشيء السهل الميسور.

وأراد السيد "**شوارتز**" أن يجتذب إلى حديثه جاره الآخر، ولكنه لم يزد على أن رفع حاجبيه من تحت نظارته، والتفت إليه ببرود، ثم عاد يقرأ في كتابه ثانية. ولم يهتم "**شوارتز**" ببرود جاره الألماني فتوجه إلى السيدة يرجوها أن تجلس مكانه؛ لأنه أكثر ملاءمة لها إذا كانت تنشد المناظر الجميلة..

فلم يبد عليها أنها تفهم الإنجليزية، فهزت كتفيها ورفعت ياقة معطفها المصنوع من الفراء..

وقال السيد "**شوارتز**" لـ"**بوارو**":

– من الخطأ أن تسافر السيدة بمفردها دون أن يصحبها شخص يعتني بها.

فوافقه "**بوارو**" على ما قال. أما الرجل فقد تنهد ولزم الصمت.

◆◆◆◆◆

إنه لمما يثير الدهشة والضحك معًا أن يرى الإنسان مدير الفندق في ذلك المكان النائي البعيد عن العالم، مرتديًا ثيابه الرسمية لا يتخلى عنها لحظة واحدة. وكان علاوة على قيوده الرسمية بدينًا وسيمًا.

لاحظ "**بوارو**" أن المدير لم يكن في حالته الطبيعية حين أقبل عليه فجأة هؤلاء

الضيوف. وعلى الرغم من محاولته إخفاء اضطرابه بالاعتذار عن قلة استعداد الفندق، فإن "**بوارو**" قد فطن لوجود شيء غير طبيعي دفعه إلى الاضطراب!

أعدت موائد الطعام في غرفة طويلة. وكان "**جوستاف**" الخادم المنوط بهذه العملية شابًّا نشيطًا، فأخذ يمر بالضيوف ومعه قوائم الشراب، بينما جلس الفرسان الثلاثة معًا يضحكون ويتكلمون بصوت عال بالفرنسية..

وجلست السيدة الوسيمة وحيدة دون أن تنظر إلى أحد. وجلس "**بوارو**" بمفرده كذلك. فجاءه مدير الفندق يقول:

– أرجو ألا تكون متضايقًا يا سيدي لخلو الفندق من الناس، فالموسم لم يبدأ بعد. وتلك السيدة الجالسة هناك تزور الفندق في هذا الموعد من كل عام. قتل زوجها بينما كانا يتزلقان على الجليد منذ ثلاثة أعوام. وهي تقوم بهذه الزيارة السنوية؛ وفاء لذكرى زوجها الراحل. أما السيد الجالس هناك فهو طبيب مشهور من "**فيينا**" يدعى الدكتور "**كارل لوتز**" يحضر أيضا للراحة والاستجمام!

فقال "**بوارو**":

– إنه مكان هادئ ومريح حقًّا. وهؤلاء الفرسان الثلاثة.. هل جاءوا للاستجمام أيضًا؟

فهز المدير كتفيه ولاحت في عينيه علامات الاضطراب وقال:

– آه، هؤلاء! إنهم يأتون للقيام بمحاولات جديدة في الصعود إلى أماكن أكثر ارتفاعًا..!

ولكن هذا الجواب لم يقنع "**بوارو**" بعد أن لاحظ ارتباك الرجل واضطرابه.

وحضر السائح الأمريكي السيد "**شوارتز**". فتهلل بشرًا حين رأى "**بوارو**" وقال له:

– كنت أتحدث مع ذلك الطبيب، وفهمت منه أنه يهودي طرده النازيون من وطنه. وهو في الحق طبيب عظيم إخصائي في الأمراض العصبية والتحليل النفسي.

ثم اتجهت عيناه إلى السيدة وقال بصوت خافت:

– لقد أخبرني الخادم عن اسمها وهي السيدة "**جرانديير**". قُتل زوجها وهو يتزلق فوق الجليد. إنني أشعر نحوها بعطف شديد. أظن أنه يحسن بنا أن نسري عنها.

فقال "**بوارو**":

– لو كنت مكانك لما حاولت ذلك!

ولكن السيد "**شوارتز**" لم ينثن عن عزمه، وذهب إلى حيث كانت السيدة، ووقف إلى جوارها وهي تفوقه طولاً، وراح ينظر معها من النافذة إلى الوادي السحيق. ولما أرادت الجلوس وجدته واقفًا بجوارها فنظرت إليه ببرود وأولته ظهرها..

ولم يسمع ما قالته له؛ لأنه عاد إلى "**بوارو**" يقول:

– أظنني قد أرضيت ضميري. أعتقد أن روح المحبة والوئام يجب أن تسود العالم أجمع ولهذا تجدني قد أحببتك قبل أن أعرف اسمك.

– فقال "**بوارو**":

– اسمي "**بواريير**".. تاجر حرير في "**ليون**".

– يسرني أن أقدم إليك بطاقتي يا سيد "**بواريير**"، ولو تفضلت بزيارتي في "**فونتينسبرنج**" فسأرحب بك كثيرًا.

فأخذ "**بوارو**" البطاقة ثم وضع يده في جيبه، وقال:

– آسف لأني لا أحمل بطاقتي الآن.

وأقبل المساء وذهب "**بوارو**" إلى فراشه، ولكنه قبل أن ينام قرأ خطاب "**ليمنثيل**" ثانيًا وقال لنفسه:

– إنه مدهش حقًّا. ترى لو..

◆◆◆◆◆

أحضر "**جوستاف**" طعام الإفطار والقهوة إلى "**بوارو**" وقال له:

– معذرة يا سيدي إذا وجدت القهوة غير ناضجة تماماً؛ لأن المياه تغلي بسرعة في هذا المكان المرتفع!

فقال "**بوارو**":

– يجب أن نخضع لحكم الطبيعة.

فقال "**جوستاف**":

– يبدو أن سيدي فيلسوف!

وقصد إلى الباب. ولكن بدلاً من أن يخرج، انثنى بسرعة ونظر إلى النافذة وقال بصوت خافت:

– أنا "**درويه**".. مفتش البوليس.

– آه.. لقد توقعت هذا!

فقال "**درويه**" بصوت خافت:

– لقد وقع حادث خطير للقطار.

– حادث؟! ما هو؟

فقال "**درويه**":

– لم يصب أحد بسوء. حدث انهيار ثلجي بسيط على الطريق، ومن العسير أن يتم الإصلاح بسرعة في هذا الوقت الذي لم يبدأ فيه الموسم بعد وستكون النتيجة طبعا، أننا سنمكث هنا معزولين عن العالم بضعة أيام.

فقال "**بوارو**":

– شيء جميل جدًّا.

فهز المفتش رأسه وقال:

– لقد كانت معلومات القومسيير العام صحيحة حين قال إن اجتماع "**ماراسود**" بعصابته سيكون في هذا المكان. ويبدو أنه دبر الأمر بحيث لا يحدث ما يعرقل الاجتماع.

فقال "**بوارو**" :

– ولكن هذا محض وهم وخيال!

– هذا حقيقي يا سيد "**بوارو**" ؛ لأن "**ماراسود**" شخص عجيب حقًّا، وفي اعتقادي أنه مجنون.

فقال "**بوارو**" :

– مجنون وقاتل!

– ليس في هذا ما يدعو إلى الدهشة على ما أظن؟

– إذا كان اجتماع "**ماراسود**" بعصابته سيحدث هنا، فلابد أنه موجود معنا الآن ما دامت المواصلات قد قطعت.

– أنا أعلم ذلك.

وسادت لحظة من الصمت بددها "**بوارو**" بقوله:

– أفلا يكون الدكتور "**لوتز**" هو "**ماراسود**"؟

فهز المفتش رأسه وقال:

– لا أظن ذلك؛ لأن الدكتور **لوتز**" طبيب مشهور. وقد رأيت صورته في الجرائد وهي تشبه النزيل الذي يحمل اسمه!

– إذا كان "**ماراسود**" بارعا في التخفي، فلا يستبعد أن يكون قد لعب هذا الدور وأطلق على نفسه هذا الدور وهذه الصفة.

– هذا صحيح، ولكني لم أسمع أنه يتقن التخفي؛ لأنه ليس كالأفعى، وإنما هو كالدب المتوحش، يهجم على فريسته في جرأة وعنف!

فقال "**بوارو**" :

– وما الذي يعوق الدب أن يكون أفعى إذا أراد؟

فقال "**درويه**" :

– لا شيء طبعا. خصوصاً وأنه هارب من وجه العدالة، فلابد له من التخفي..

– هل عندك أوصافه؟

فهز "**درويه**" كتفيه وقال:

– لقد وصلتني صورته اليوم فعرفت أنه في الثلاثين من عمره، ربعة، أسمر الوجه، وليس به مميزات ظاهرة.

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– هذا الوصف ينطبق على أي شخص، وما رأيك في الرجل الأمريكي "**شوارتز**"؟

– كنت على وشك أن أسألك عنه؛ لأنك تحدثت إليه. وقد عاشرت على ما أظن كثيراً من الإنجليز والأمريكيين..

إنه ليبدو من النظرة الأولى أنه سائح عادي وجواز سفره صحيح، ولكن أليس الأمريكيون – على كل حال – لا يقيمون وزنا لنفقات الأسفار؟ فما رأيك الشخصي فيه؟

فهز "**بوارو**" رأسه في حيرة وقال:

– يخيل إليّ أنه رجل سليم النية، صافي القلب، يحب الناس ولا شبهة فيه.. ولكن ما رأيك في أولئك الفرسان الثلاثة؟

فتجهم وجه المفتش وهز رأسه وقال:

– نعم، أقسم لك أنني اشتبهت في أمرهم، وأعتقد أنهم يكونون العصابة المنشودة، وأن من بينهم "**ماراسود**" المطلوب!

وبعد أن استعرض "**بوارو**" في ذهنه وجوههم المختلفة.. أخذ يقول لنفسه:

– يحتمل أن يكون "**ماراسود**" معهم! ولكن لماذا يعرض نفسه وصاحبيه لهذه المخاطرة، بينما يمكن تدبير الاجتماع في مكان أوفر أمانًا من هذه البقعة النائية؟

وأخيراً قال:

– ولكن لماذا يكابدون مشقة هذا السفر المضني من أجل اجتماع؟

فقال المفتش:

– هناك احتمال آخر، وهو أن هؤلاء الفرسان الثلاثة من عصابة "**ماراسود**" قد جاءوا ليقابلوه، ولكن أين "**ماراسود**" نفسه؟

فقال "**بوارو**" :

– ماذا تعرف عن المشرفين على هذا الفندق؟

فهز المفتش كتفه وقال:

– لا يوجد سوى طاهية عجوز، وزوجها "**جاك**" الشيخ، والخادم الذي حللت في مكانه!

فقال "**بوارو**" :

– المدير يعرف طبعا من أنت؟

– طبعًا فهو الذي ساعدني في مهمتي.

– ألم يدهشك اضطرابه؟

– ربما كان قد ساوره الاضطراب لاشتراكه في أعمال البوليس؟

فقال المفتش بعد تفكير:

– هذا حقيقي.

– ولكني أفكر فيما هو أبعد من ذلك. من الضروري أن يكون الرجل على علم بشيء.

– إذن فمن صالحنا ألا ندعه يعرف شيئًا عن اشتباهنا في أمره ولنراقبه من بعيد..

فهز المفتش رأسه واتجه نحو الباب وقال:

– هل من تعليمات أخرى يا سيد "**بوارو**" ؟

فقال "**بوارو**" :

– لا يهمني الآن سوى شيء واحد وهو معرفة السبب في اتخاذ هذا الفندق بالذات لاجتماع العصابة؟!

– السبب هو النقود.

– نعم، فقد قتلوا "**سالي**" المسكين وسلبوا نقوده!

– كانت النقود مبلغا ضخما.

– إذن فالاجتماع قد دبر لاقتسام الغنيمة؟

– نعم، فالمسألة واضحة.

فهز "**بوارو**" رأسه كأنه لم يقتنع بهذا الاستنتاج، وقال:

– ولماذا يجتمعون في هذا المكان الذي لا يصلح إلا لمقابلة غرامية؟

فقال المفتش:

– هل تظن أن..؟

فقال "**بوارو**":

– أظن أن السيدة "**جرانديير**" امرأة فاتنة، تستطيع حين تشاء أن تغري الرجل بأن يصعد من أجلهاثلاثة آلاف متر.

فقال المفتش:

– لم يداخلني أقل شك في أمر هذه السيدة وهي تتردد على هذا المكان منذ بضع سنين!

فقال "**بوارو**":

– ولهذا اتخذوا من وجودها ذريعة لدفع الشبهة عنهم فاختاروا "**روشتنج**"!

فقال المفتش:

– سأبحث وجهة نظرك هذه يا سيد "**بوارو**"!

◆◆◆◆◆

مضى النهار عاديًّا لم يحدث فيه شيء. وجلس "**بوارو**" مع الدكتور "**لوتز**" يجاذبه الحديث. علم منه أنه إخصائي في الأمراض النفسية، ولا يستطيع أن يتبسط في الحديث عن مهنته مع الهواة، ثم انتحى ركنا يقرأ في كتاب ألماني ويلخص منه بعض الفقرات.

وتوجه "**بوارو**" إلى المطبخ، حيث كانت تعمل الطاهية العجوز وزوجها.. فقالت له إنه توجد كمية وافرة من الطعام المحفوظ، ولكن ما القيمة الغذائية لهذا الطعام! وقد كانت العناية الإلهية رحيمة بالبشر؛ إذ لم تجعل كل غذائهم طعامًا محفوظًا.

وتناول حديثهم أمورًا شتى.

قال "**بوارو**":

– أين الخادم الذي كان هنا قبل أن يحضر "**جوستاف**"؟

– نعم كان خادمًا طيبًا، ولكنه خامل، غير متمرن.

– هل مكث هنا طويلاً قبل أن يحتل "**جوستاف**" مكانه؟

– أيامًا قليلة..

– ألم يشك من هذا التصرف؟

– كلا. فقد ذهب بكل هدوء؛ لأن زبائن هذا الفندق من الطبقات الراقية ويحتاجون إلى خدم مهرة.

فهز "**بوارو**" رأسه وسألها:

– إلى أين ذهب؟

فهزت المرأة كتفيها وقالت:

– إذا كنت تعني "**روبرت**" فإنه عاد إلى المقهى الذي جاء منه!

– إذن فقد عاد بالقطار؟

فنظرت إليه المرأة مندهشة وقالت:

– طبعا. وبأية طريقة أخرى يعود؟

فقال "**بوارو**":

– هل رآه أحد عند رحيله؟

فحملق إليه الزوجان العجوزان. وقالت المرأة:

– هل تريد أن يترك الإنسان عمله ويذهب لوداع هذا الحيوان؟

فهز "**بوارو**" رأسه مؤمنًا على اعتراض المرأة.. وراح يتفقد هذا الفندق الفخم الذي لم يفتح فيه غير الجناح الذي يشغله الضيوف، أما باقي الغرف فقد كانت مغلقة لا حركة فيها.

ورأى في أحد الأركان الفرسان الثلاثة يلعبون الورق، فنظر إليه أحدهم بعينين شاحبتين، ووجه حجري. فمر به "**بوارو**" بصمت حتى لقى أمامه الفاتنة الهيفاء السيدة "**جرانديير**"، فأسرع نحوها وسألها قائلا:

– هل كانت حادثة القطار خطيرة؟ أرجو ألا تكون قد أزعجتك.. فقالت السيدة:

– لم أهتم بها كثيراً. ثم سارت في طريقها دون أن تعيره التفاتًا.

◆◆◆◆◆

أوى "**بوارو**" إلى فراشه مبكرًا ونام ملء جفنيه، ولكنه استيقظ فجأة عند منتصف الليل على أثر فتح الباب عنوة وأضاء النور.

وجد أمامه الفرسان الثلاثة تفوح من أفواههم رائحة الشراب وهم يسبون ويلعنون. تقدموا منه وبأيديهم "شفرات" براقة وصاح أحدهم:

– سنسلخ جلدك أيها الشرطي القذر.

وفي هذه اللحظة هجم عليهم "**شوارتز**" فجأة مصوبًا نحوهم مسدسه آمرًا إياهم بالخروج وإلاّ أرداهم قتلى. فرفع الثلاثة أيديهم وأسرع نحوهم "**بوارو**" يفتش جيوبهم؛ ليتأكد من خلوها من السلاح. وقال لهم السيد "**شوارتز**":

– والآن هلموا إلى ذلك الدولاب الذي في الممر.

وبعد أن أدخلهم الدولاب وأغلق بابه بالمفتاح التفت إلى "**بوارو**" وعليه دلائل الغبطة والارتياح وقال:

– كيف كان يصبح مصيرنا لولا هذه الغدارة؟ لقد سخر مني أقاربي في "**فونتينسبرغ**" لأخذها معي في رحلتي، وقالوا لي هل ستذهب إلى غابات

"**إفريقيا**" ! فلو أنهم كانوا معنا في هذه اللحظة لهنئوني على صواب فكرتي!

فقال "**بوارو**" :

– لقد ظهرت يا صديقي في الوقت المناسب وأنقذتني من الموت، فأنا مدين لك بحياتي.

– هذه مسألة بسيطة، والمهم الآن أن نفكر في طريقة تسليمهم للبوليس.. فهيا بنا نتشاور في الأمر مع المدير.

–يحسن أن نتحدث أولا مع "**جوستاف**" . آه.. آسف، بل المفتش "**درويه**" فما "**جوستاف**" في الحقيقة إلاّ مفتش بوليس!

فحملق إليه "**شوارتز**" وقال:

– ولهذا السبب ارتكبوا جريمتهم.

– ماذا تقول؟

– لقد كنت أنت الفريسة الثانية في ترتيب قائمتهم السوداء، وكان الضحية الأولى هو "**جوستاف**" . هيا بنا فقد تركت الدكتور "**لوتز**" يعنى به.

فذهبا إلى غرفة "**درويه**" حيث كان الدكتور "**لوتز**" يضمد جراحه. فالتفت إليهما الطبيب وقال:

– أوه يا سيد "**شوارتز**" . ما أفظعها من جريمة! ما أقسى قلوب هؤلاء السفاحين.

وكان "**درويه**" لا يزال يئن بصوت خافت ضعيف من شدة الألم. فسأل "**شوارتز**" الطبيب:

– هل حالته خطرة؟

– لا يزال فيه رمق من الحياة. ولهذا يجب أن يبقى صامتًا لا يتكلم!

فسأل "**شوارتز**" السيد "**بوارو**" قائلا:

– قلت لي إن "**درويه**" مفتش بوليس. فماذا كان يفعل في "**روشتنج**" ؟

– كان يبحث عن هؤلاء المجرمين الخطرين..

وروى "**بوارو**" قصتهم باختصار. وقال الدكتور "**لوتز**" :

– "**ماراسود**" ؟ لقد قرأت عن جريمته في الجرائد. إنني في الحقيقة متعطش لرؤيته؛ لأبحث شذوذه، وأتعرف على خصائص طفولته!

فقال "**بوارو**" :

– وأنا يهمني أن أعرف أين "**ماراسود**" الآن.

فقال "**شوارتز**" :

– هل هو أحد أولئك الثلاثة الذين أغلقنا عليهم الدولاب؟

فقال "**بوارو**" :

– ربما. ولكني لا أجزم بذلك. أنا عندي فكرة.

ولمح فجأة علامة على البساط وقال:

– آثار أقدام ملوثة بالدماء تغطي الطريق إلى أحد أجنحة الفندق، هلما بنا بسرعة.

وسار يتبعه زميلاه في طريق مظلم مترب، حتى انحنى بهم، ولم تزل عليه آثار الأقدام الملوثة، ووصلوا إلى باب قد فتح نصفه..

دفع "**بوارو**" الباب ودخل، فوجد غرفة نوم استعملت حديثًا، وعلى المنضدة صحاف الطعام. وارتاع لرؤية جثة ملقاة على الأرض وقد مُثِّل بها تمثيلاً شنيعًا.

وتساءل "**شوارتز**" بصوت ضعيف:

– تُرى من يكون هذا القتيل؟

فقال "**بوارو**" :

– أظنه الخادم "**روبرت**" الذي عُرف بالغباء وقلة النشاط. ولكن الدكتور "**لوتز**" تقدم نحو الجثة، وانحنى وهو يشير إلى ورقة ألصقت بصدر القتيل. وقرأها "**شوارتز**" :

– «لن يقتل "**ماراسود**" أحداً بعد اليوم ولن يسلب حقوق أصدقائه» ثم قال:

– إذن فهذا هو "**ماراسود**". وقد قتله زملاؤه. ولكن من الذي جاء به إلى هذا

المكان ولماذا دعوته "**روبرت**" ؟

فقال "**بوارو**" :

– كان يعمل هنا خادم متنكر باسم "**روبرت**" ، وكان معروفًا أنه بعد طرده قد عاد إلى "**أندرومات**" ولكن لم يره أحد .

– وماذا تظن قد حدث بعد ذلك؟

فأجاب "**بوارو**" :

– أظن أن ما حدث كان واضحًا على وجه مدير الفندق، وكان اضطراب المدير دليلاً على أن "**ماراسود**" قدم له رشوة؛ ليسمح له بالاختفاء في هذا الجناح المجهول، ولكن المدير لم يكن مطمئنًا له ولم يشعر بارتياح لوجوده .

فقال الدكتور "**لوتز**" :

– ولماذا قتل؟ ومن ترى قتله؟

فصاح "**شوارتز**" قائلاً:

– من السهل أن نستنتج أن "**ماراسود**" حاول أن يغتصب نصيب شركائه في الغنيمة، فجاء إلى هذا المكان النائي ليكون بعيداً عنهم ولكنه أخطأ إذ تبعه زملاؤه ولقى حتفه على أيديهم .

فقال "**بوارو**" :

– إذن فلم يكن حضورهم لموعد حدد للاجتماع .

فقال الدكتور "**لوتز**" :

– لا شك في أن حواركم القائم على الاستنتاج ممتع، ولذيذ . . ولكن أمامنا الآن قتيل، وآخر جريح، وليس لدي من العقاقير الطبية ما يكفيني لمواصلة علاجه، وقد انقطعت بنا الأسباب مع العالم . فإلى متى سنظل في عزلتنا هذه؟

وأضاف "**شوارتز**" قائلاً :

– وفي قبضة أيدينا ثلاثة مجرمين.

فقال الدكتور "**لوتز**" :

– ماذا سنفعل؟

فقال "**بوارو**" :

– سنقبض على مدير الفندق، إنه ليس مجرمًا ولكنه جشع، وهو لجبنه سيصيخ لأوامرنا. أما الطاهية وزوجها فسأجد عندهما الحبال التي أريدها، لنقيد بها أولئك المجرمين، وندعهم في مكان آمن حتى تصلنا النجدة، وستساعدنا غدارة السيد "**شوارتز**" في تنفيذ أغراضنا.

فقال الدكتور "**لوتز**" :

– وأنا ماذا سأفعل؟

فقال "**بوارو**" بلهجة جدية:

– ابذل قصارى جهدك لإنقاذ حياة الجريح، وسنتناوب في السهر على تمريضه حتى يبرأ!

◆◆◆◆◆

وبعد ثلاثة أيام وصل إلى الفندق بضعة رجال فاستقبلهم "**بوارو**" في ساعة مبكرة قائلاً:

– مرحبًا أيها الصديق العزيز "**ليمنثيل**".

فشد السيد "**ليمنثيل**" على يديه وقال:

– لا أدري يا عزيزي كيف أعبر عن تقديري لك وعواطفي نحوك. وإني لأعلم أنك اجتزت محنة قاسية، وكنت مشفقًا عليك قلقًا لأجلك، وقد انقطعت أمامنا سبل المواصلات التي تمكننا من الاطمئنان عليك. ودخل "**قومسيير**" البوليس وجماعته إلى الفندق وقال:

– أظن أن حضورنا لم يكن منتظراً؟

فقال "**بوارو**" :

– طبعًا؛ لأن القطار لم يتم إصلاحه بعد.

– نعم، إنه ليوم شاق، ولكن هل تأكدتم من وجود "**ماراسود**"؟

– نعم، تعالَ معي.

وصعدوا على الدرج فخرج **شوارتز**" من أحد الأبواب في ثياب نومه وقال:

– إني أسمع أصواتاً، ما هذا الذي أرى؟

فقال "**بوارو**":

– لقد جاءتنا النجدة.

فقال "**شوارتز**":

– هل أنتم ذاهبون للاطمئنان على حالة المفتش "**درويه**"؟ لقد قرر الدكتور "**لوتز**" أمس أن حالته تحسنت قليلاً.

وساروا إلى حيث يرقد "**درويه**" وتقدم نحوه الضباط وهم في شدة التأثر، ليمنعوه بلطف من محاولة النهوض من فراشه.

ولكن "**بوارو**" صاح قائلاً:

– هو ذا الدب البري يا سادتي خذوه حيًّا، وحذار أن تدعوه يفلت من المقصلة.

فروع الجميع لهذه المفاجأة وصاح "**شوارتز**" قائلاً:

– ولكن هذا هو "**جوستاف**" الخادم.. إنه المفتش "**درويه**".

– نعم هذا هو "**جوستاف**" وليس "**درويه**". وقد كان "**درويه**" سلفا له. أعني أنه كان الخادم المدعو "**روبرت**" وقد قتله "**ماراسود**" في ذلك الجناح المهجور في نفس الليلة التي هجم عليَّ فيها أولئك المجرمون.

◆◆◆◆◆

وقال "**بوارو**" لصديقه "**شوارتز**" السائح الأمريكي وهما يتناولان طعام الإفطار:

– لعلك تعرف يا صديقي أن هناك أشياء يتعلمها الإنسان بحكم مهنته. فمن

السهل عليّ مثلاً أن أميز بين المجرم ورجل البوليس. ولهذا اشتبهت في أمر "**جوستاف**" منذ اللحظة الأولى. وصممت ألا أشرب القهوة التي قدمها إليّ في تلك الليلة فألقيت بها جانبًا.

وفي الهزيع الأخير جاء إلى غرفتي رجل يثق بأنني في غيبوبة من المخدر الذي دسه لي في القهوة، فأخذ يبحث في أمتعتي حتى عثر على الورقة التي تعمدت تركها في جيب معطفي؛ ليسهل عليه العثور عليها. وفي صبيحة اليوم التالي حضر "**جوستاف**" إلى غرفتي يحمل إليّ القهوة فحياني باسمي وقام بخدمتي بكل نشاط. ولكنني لمحت في حركاته قليلاً من الاضطراب. ويبدو أنه أحس بأن البوليس في أثره.. وأنه وقع في فخ لا يستطيع منه فرارًا.

فقال "**شوارتز**" مستنكرًا:

– ما أحمقه! لماذا جاء إلى هنا أصلاً؟

فقال "**بوارو**":

– كلا لم يكن أحمق كما تظن، ولكنه كان محتاجًا إلى مكان ناء بعيد عن العالم يجتمع فيه بشخص معين.

– ترى من ذلك الشخص؟

– الدكتور "**لوتز**"!

– الدكتور "**لوتز**"! هل هو مجرم أيضًا!؟

– الدكتور "**لوتز**" طبيب حقيقي، ولكنه لم يكن إخصائيًّا في الأمراض النفسية كما زعم، وإنما هو جراح في التجميل وتغيير معالم الوجه. وقد اتفق معه "**ماراسود**" على المقابلة في هذا الفندق القصي. والدكتور كما تعلم رجل مشرد من وطنه وفقير، فلم يتأخر أمام الأجر الباهظ الذي دفع له عن الحضور لتغيير سحنة "**ماراسود**" بجراحته البارعة.

وربما كان يعلم أن "**ماراسود**" مجرم، ولكنه تجاهل ذلك، وقبل بأن يجري العملية في هذا الفندق البعيد عن العالم، والذي يمكن رشوة مديره بسهولة...

ولكن الأمور سارت على غير ما يريد "**ماراسود**". فقد تأخر حراسه الثلاثة الخصوصيون عن الحضور، واضطر "**ماراسود**" إلى العمل بمفرده، فاختطف مفتش البوليس المتنكر في زي خادم وحل محله. وعطلت العصابة القطار. وفي الليلة التالية قتلوا مفتش البوليس وألصقوا بثيابه تلك الورقة. وكانوا يحسبون أنهم إلى أن يحين وقت إصلاح القطار، سيتمكنون من دفن جثة الخادم المسكين أو "**ماراسود**" المزعوم. أما الدكتور "**لوتز**" فكان يقوم بالعملية بسرعة، ولم يبق غير شخص واحد يجب التخلص منه إلى الأبد وهو "**بوارو**". فهجمت عليّ العصابة تريد قتلي لولا وقفتك المشرفة..

فقال "**شوارتز**":

– إذن فأنت حقًّا "**بوارو**"؟ لا عجب إذا كانت خدعتهم لم تجز عليك، فلم تخدع بجثة "**ماراسود**" المزعوم، ولكن لماذا لم تصارحني بالحقيقة من أول الأمر؟

فقال "**بوارو**":

– لأني أردت أن أتأكد من القبض على الدب المفترس "**ماراسود الجبار**".. وتسليمه إلى رجال البوليس حيًّا.

-5-

الجريمة

كان الجو جميلاً والسماء صافية ينعكس لونها الأزرق على ماء البحيرة الهادئ فيجعلها كبساط من المخمل، وكان "**هارولد وورنج**" جالسًا في شرفة الفندق يدخن مسروراً، منشرح الصدر.. فقد أقبلت عليه الدنيا وهو في نضارة الشباب، وأصبح وزيراً مرموقًا وهو في الثلاثين من عمره..

قرر أن يستجم من عناء العمل في "**هيرزسلوفاكيا**" في هذا الفندق الهادئ

الصغير الواقع على بحيرة "**ستمبكا**" . . وكانت من رواد هذا الفندق سيدتان إنجليزيتان هما السيدة "**رايس**" وابنتها المتزوجة السيدة "**كلايتون**" .

كانت السيدة "**كلايتون**" جميلة المحيًّا، ولكنها محافظة وخجول، أما أمها السيدة "**رايس**" فكانت سيدة مرحة، حسنة العشرة. فأحب "**هارولد**" الاثنتين معا . . ولكن كانت هناك امرأتان أخريان أثارتا فضول "**هارولد**" . . رآهما وهو جالس في شرفة الفندق خارجتين من البحيرة بلباس البحر، وقد توارت الشمس بين السحب . . فأحس برعدة تسري في بدنه.

حملق إليهما مليًّا. رأى أنفيهما الطويلين المحدودبين كمناقير الطيور، ووجهيهما القريبي الشبه، والسترتين الخفيفتين اللتين تصفقهما الريح فوق أكتافهما كأجنحة الطيور.

توجهت السيدتان إلى الشرفة ومرتا بجانبه، وكان يُخيَّل للناظر إليهما أنهما شقيقتان، لقرب الشبه بينهما . .

لقد روعه منظر أيديهما الشبيهة بمخالب الطيور. كانت نظراته الأخيرة لهما مع مغيب الشمس، فسرت في أوصاله رعدة أخرى.

وبعد قليل خرجت السيدة "**رايس**" من الفندق فدعاها إلى الجلوس معه . .

قال لها :

– هل رأيت هاتين السيدتين اللتين دخلتا الفندق منذ لحظة؟

– كانتا ترتديان سترتين؟ نعم مرتا بجانبي.

– مخلوقتان عجيبتان، أليس كذلك؟

– بلى. فقد وصلتا أمس ويلوح أنهما توءمتان!

فقال "**هارولد**" :

– ربما كنت واهما، ولكني أوجس منهما شرا، سنسأل عنهما، ولكنهما غير إنجليزيتين كما أظن.

حان موعد تناول الشاي فسألها "**هارولد**" عن ابنتها. فقالت :

– لقد خرجت في نزهة حول البحيرة!

وجاء الخادم ليؤدي ما يأمره به "**هارولد**" .

وقالت السيدة "**كلايتون**" :

– ربما لا تتناول "**أليس**" الشاي معنا فقد وصلها خطاب من زوجها.

فقال "**هارولد**" مندهشًا:

– زوجها! لقد كنت أحسبها أرملة؟

فنظرت إليه السيدة "**رايس**" بحدة وقالت:

– إنها ليست أرملة مع الأسف! الشراب يا سيدي هو سبب شقائها!

فقال "**هارولد**" مأخوذا:

– هل يدمن زوجها الشراب؟

– ليت الأمر كان قاصراً على الشراب، ولكنه جمع أقبح الصفات.. فهو غيور حاد الطبع. وإن أشد ما يؤلمني في هذه الحياة هو أن أرى ابنتي الوحيدة غير موفقة في حياتها الزوجية.

فقال "**هارولد**" :

– مع أنها سيدة لطيفة مثالية الأخلاق..!

– ربما كان لطفها ودماثة خلقها هما سبب عدم توفيقها في حياتها! لقد كانت الحياة قاسية عليها.

– ولكن كيف تزوجت ذلك الرجل؟

– كان "**فيليب كلايتون**" جميل الطلعة، وافر الثروة، جذاب الحديث. وكنت ترملت منذ زمن طويل وأعيش أنا وابنتي وحيدتين، ولم تكن لدينا الخبرة الكافية للحكم على أخلاق الرجال، كما لم نجد لسوء الحظ من ينبئنا عن أخلاقه الحقيقية!

فقال "**هارولد**" :

– مسكينة "**أليس**" .

وأحس بموجة من الأسى تنتابه لما أصاب تلك الفتاة التي لم تتجاوز الخامسة والعشرين، والتي أسرته بحديثها الشهي، ونظراتها الساذجة البريئة، حتى جعلته يشعر نحوها بشيء أقوى وأعنف من الصداقة.. ولكنها متزوجة.

قضى "**هارولد**" أمسيته مع السيدة "**رايس**" وابنتها "**أليس**"، التي كان يبدو من جفنيها الحمراوين أنها قد خرجت لتوها من نوبة بكاء.

وقالت السيدة "**رايس**":

- لقد عرفت السيدتين الغريبتين اللتين تسأل عنهما. إنهما تجلسان في ذلك الركن، وقد قيل إنهما بولنديتان ومن أسرة أرستقراطية.

فنظر إليهما "**هارولد**". وقالت "**أليس**":

- هاتان السيدتان الجالستان هناك؟ يا للعجب! إنهما تبدوان مخيفتين.. ولا أدري لماذا.. ويُخيَّل إليّ أن في حياتهما سرًّا.

فقال "**هارولد**":

- هكذا كان حكمي عليهما.

فقالت السيدة "**رايس**":

- على كل حال لا يستطيع الإنسان أن يحكم على الناس بمجرد النظر إليهم.

وقالت ابنتها "**أليس**":

- هذا صحيح. ولكنهما مع ذلك تبدوان كالطيور الجارحة.

فقال "**هارولد**" متمتما:

- التي تنقر عيون الموتى.

فقالت السيدة "**رايس**":

- إنهما على كل حال لا ينتظر أن تعبرا طريقنا..

فقالت "**أليس**":

- وليست لنا أسرار خفية.

فقالت السيدة "**رايس**" وهي تنظر إلى "**هارولد**" نظرة خفية :

– ربما كان للسيد "**هارولد**" أسرار .

– كلا، ليست لي أسرار وحياتي كتاب مفتوح!

ثم استطرد قائلا :

– ما أغبى الذين يتنكبون الطريق السوي! إن كل ما يحتاجه الإنسان في حياته هو الصراحة ونقاء الضمير، وبهذا يستطيع أن يواجه الحياة من غير أن يدع لأحد فرصة للتدخل في شؤونه .

◆◆◆◆◆

كان "**هارولد**" كسائر بني جنسه الإنجليز لا يجيد غير لغته الأصلية، ولكن هذا النقص لم يكن يهمه كثيراً؛ إذ كان يجد في أسفاره الخارجية من يحسن التحدث إليه بالإنجليزية. ولكن في هذا الإقليم السلافي، وجد مدير الفندق لا يتكلم سوى الألمانية. ولكن إحدى صديقتيه كانت تتطوع بالترجمة له أحيانا .

وصمم "**هارولد**" على تعلم الألمانية فاشترى كتابين لدراستها . . وكان الصباح جميلاً فأخذ "**هارولد**" يكتب بعض خطاباته، ثم نظرإلى ساعته فوجد أنه لا يزال في الوقت متسع للتنزه حول البحيرة. وفي أثناء جولته استرعى انتباهه صوت سيدة تنتحب . . فسار نحوها. وجد "**أليس**" تجلس على جذع شجرة وقد دفنت وجهها بين يديها . .

وقف لحظة متردداً، ثم تقدم نحوها وقال بلطف :

– السيدة "**كلايتون**" . . "**أليس**" .

فرفعت رأسها ونظرت إليه، فجلس إلى جانبها وقال :

– أرجو أن تأمري بما تريدين. يمكنني أن أساعدك!

فهزت رأسها وقالت :

– لا، ما أجمل عطفك! ولكن مأساتي مستعصية . .

– هل الأمر خاص بزوجك؟

فجففت عينيها وأصلحت من زينتها وقالت:

– حاولت ألا أزعج أمي؛ لأنها تحزن كلما رأتني أبكي، ولهذا جئت إلى هذا المكان. إن البكاء لا يجدي في كثير من الأحيان ولكنه الوسيلة الوحيدة عندما لا تطاق الحياة!

فقال "**هارولد**":

– إنني آسف جداً يا عزيزتي!

فرمقته بنظرة شكر وقالت:

– ولكنها غلطتي؛ لأني تزوجته بمحض رغبتي! ولا ألوم إلا نفسي.

– وهكذا فاضت الكأس بما فيها؟!

– ليتني كنت شجاعة كما تتصور، ولكني أخافه بشدة، أخافه عندما يغضب.

– يجب أن تتركيه.

– لن أجسر على ذلك؛ لأنه لن يدعني.

– وما رأيك في الطلاق؟

فهزت رأسها قليلا وقالت:

– ولكن أين الأدلة التي تساعدني على طلب الطلاق؟ وقد تحدثت مع أمي كثيراً في هذا الموضوع على غير جدوى. عيب "**كلايتون**" أنه شديد الغيرة. ويوم يراني أتحدث إلى رجل يغضب ويثور ثورة جامحة.

لقد سمع "**هارولد**" نسوة كثيرات ينحين باللائمة على أزواجهن بسبب الغيرة. وقد كان يعذر هؤلاء الأزواج المساكين، ولكن "**أليس**" لم تكن من أولئك النساء.

ابتعدت عنه "**أليس**" قليلا ونظرت إلى السماء وقالت:

– لقد أصبح الجو بارداً ويحسن بنا أن نعود إلى الفندق. وفي أثناء عودتهما

لمحا إحدى السيدتين العجيبتين تسير.

كانت تتجه نحو الفندق ولما اقتربا منها أحنيا رأسيهما بالتحية، ولكنها بدلا من أن ترد التحية حدجتهما بنظرة قاسية، ارتعدت لها فرائص "**هارولد**"، وظن أنها قد رأتهما جالسين فوق جذع الشجرة يتحدثان، فطاف بذهنها شيء من الظنون القذرة.

ذهب "**هارولد**" إلى غرفته حوالي العاشرة مساء بعد أن تسلم البريد. ووجد أن بعض الخطابات يحتاج إلى رد سريع.

جلس بثياب النوم إلى المكتب ليرد على الخطابات، فكتب ثلاثة خطابات. ولما بدأ في الخطاب الرابع فتح الباب فجأة ودخلت "**أليس**"..

وذهل "**هارولد**" حين رآها..

أغلقت الباب وراءها ووقفت مبهورة الأنفاس مذعورة، كأنها هربت من موت محقق وقالت وهي تلهث:

– لقد حضر زوجي فجأة.. إنه سيقتلني.. فأرجوك ألا تدعه يجدني..!

وحاولت أن تتحرك من مكانها قليلا فلم تستطع.. فأسندها "**هارولد**" بذراعه، وفي هذه اللحظة فُتح الباب فجأة وبرز منه رجل متوسط الطول، كث الحاجبين، كثيف الشعر، يحمل في يده مفتاحا إنجليزيا ضخما.

صاح بأعلى صوته:

– لم تكن هذه المرأة كاذبة حين أخبرتني عن علاقتك بهذا الشخص..!

فقالت "**أليس**":

– كلا، كلا، لم تكن صادقة. أنت مخطئ يا "**فيليب**"..! فحجزها "**هارولد**" خلفه عندما تقدم "**فيليب**" نحوها، وهو يصيح ويهدد:

– هل أنا مخطئ وقد رأيتك في غرفته؟

وراح يحاول جهده أن يحطم رأسها بالمفتاح الحديدي الذي بيده. فكان "**هارولد**" يدفع عنها يده حتى تمكنت من الهرب إلى غرفتها في نهاية الدهليز،

وأغلقت الباب.. فلحق بها "**فيليب**" واقتحم الباب وسمعها "**هارولد**" تصيح وتستغيث.. فأسرع إليها.

وجد زوجها يضربها بقسوة وهي تحاول الإفلات منه. وأخذت تتلفت كالقطة المذعورة بحثا عن شيء تدافع به عن نفسها. فتناولت من المنضدة ثقلا من الحديد.. وألقته على رأس زوجها بشدة، فخر على الأرض صريعا.

ركعت بجانبه في رعب وخوف لترى ماذا حلَّ به، ولكنها سمعت أحد الأبواب في الدهليز يفتح.. فأسرعت نحو "**هارولد**" الذي لم يبرح باب غرفتها ورجته أن ينصرف بسرعة. فإن وجوده في غرفتها قد يثير سوء تفاهم.. بل قد يثير فضيحة تمسها كما تمسه.

عاد "**هارولد**" إلى غرفته بسرعة وأخذ يترقب ماذا سيحدث وهو في شدة القلق والاضطراب. وبعد نصف ساعة سمع طرقا خفيفا بالباب فقفز من مكانه ليرى من القادم..

لم تكن "**أليس**" كما كان يتوقع، وإنما كانت أمها وقد جاءته فزعة مضطربة. وهي تلوح أكبر سنا مما كانت، فابيضَّ شعرها، وتجعد وجهها واسودَّ جفناها..

قال لها "**هارولد**":

– أتتناولين شرابا يرد إليك قواك؟

فهوت على الكرسي وقالت:

– كلا، فأنا بخير..

– هل حدث شيء لـ"**كلايتون**"؟

– لقد مات...

دارت الدنيا بـ"**هارولد**" وأحس كأنه قد غرق في ركام من الجليد فانعقد لسانه، وبعد لحظة أفاق وسأل:

– هل مات حقيقة؟

– لقد أصابه الثقل الحديدي في الجمجمة فهوى على حديد المدفأة، ولا أدري

أيهما كان السبب في قتله. ولكنه مات على كل حال.

فقال "**هارولد**":

-كان حادثا عرضيًا وقد رأيته بعيني رأسي.

فقالت السيدة "**رايس**" بحدة:

– طبعا، وأنا أعرف ذلك، ولكن يجب أن يظل الأمر سرًا، وأصارحك يا سيد "**هارولد**" بأني خائفة جداً.. نحن لسنا في "إنجلترا".

فقال "**هارولد**":

– أؤكد لك من ناحيتي أنني سأكتم سر الحادث.

وقالت السيدة "**رايس**":

– وهي ستكتم كذلك مسألة وجودك أثناء الحادث!

❖❖❖❖❖

لم يكن "**هارولد**" من السذاجة والغباء، بحيث يمكنه الركون إلى هذا الحديث فأخذ يستعرض في ذهنه الموضوع من أوله ويستشف نقط الضعف فيه ويزنها بميزان دقيق..

فقد قابل "**أليس**" جالسة فوق جذع الشجرة، وقضى معها وقتا يتحدثان.. ورأتهما المرأة الغريبة وسمعت بعض حديثهما. وهي وإن كانت تجهل الإنجليزية فلا شك في أنها تعرف معنى الكلمات التي ترددت أثناء حديثها "كالزوج"، و"الغيرة"، فلم يغب عنها لماذا كانا مجتمعين.

وقد أثارت تلك المرأة حفيظة "**فيليب كلايتون**" بما نقلته إليه.. والآن مات "**كلايتون**" وشهد "**هارولد**" حادث موته.. وليس هناك أقل دليل على أنها لم تتعمد قذف الزوج بالثقل الحديدي على رأسه.

وليس هناك أي دليل يثبت أن الزوج الغيور لم يجد زوجته مع "**هارولد**" في غرفة نومه، ليس هناك سوى ما يقوله هو.. أو تقوله "**أليس**".

ولكن هل سيجدان من يصدقهما؟

وهنا اعترته هزة خوف عنيفة..

فإذا قدر له أو لـ"**أليس**" النجاة من عواقب هذه الحادثة التي ستظل غامضة أمام القضاء، فهناك الصحف التي ستتلقف أنباءها وتنشرها بعناوين مثيرة.

«إنجليزي وامرأة متهمان بقتل زوج غيور – الإنجليزي سياسي لامع، وبهذا سيُقضى على مستقبله السياسي.

قال على الفور:

– هل يمكننا أن نتخلص من الجثة بأية طريقة؟

فنظرت إليه السيدة "**رايس**" في دهشة واستعلاء جعلاه يشعر بخجل وقالت:

– لسنا أمام جريمة بوليسية يا عزيزي "**هارولد**" فنحاول ارتكاب هذا العمل الجنوني.

– أظنه المهرب الوحيد من هذه الورطة.. وإلاّ فماذا نصنع؟

فهزت السيدة "**رايس**" رأسها مستيئسة، وتقطب جبينها وانغمست في تفكير عميق.

فسألها "**هارولد**":

– ترى ماذا يمكن أن يخلصنا من هذا المأزق؟

وصمتت السيدة قليلا ثم قالت:

– لو تركنا المسألة تسير في طريقها الطبيعي فستكون النتيجة هلاك ابنتي وضياع مستقبلك..

فقال "**هارولد**":

– لا يهمك مستقبلي..!

ولكنه من غير شك لم يعبر بهذه الكلمة عن شعوره الحقيقي..

فقالت السيدة "**رايس**":

– والأدهى أنه لم تكن هناك علاقة بينك وبين ابنتي كما أعلم. فقال

"**هارولد**" :

– أظنك تستطيعين أن تقرري هذه الحقيقة.

فقالت السيدة "**رايس**" بمرارة وألم:

– نعم.. وأرجو أن يصدقوا كلامي فنحن لا نعرف طباع الناس هنا.

ففكر "**هارولد**" في عقلية الريفيين وما درجوا عليه في مثل هذه المسائل.. من تأويلها إلى علاقات غرامية. ومهما قالت الأم فلن يصدقوها؛ لأنها تريد إنقاذ ابنتها.

وقال في صوت حزين:

– نعم لسنا في "إنجلترا" لسوء الحظ..!

فرفعت السيدة "**رايس**" رأسها وقالت:

– لسنا في "إنجلترا" حقًّا.. وإني لفي حيرة مما سنعمل، هل معك قدر كاف من المال..؟

فقال "**هارولد**" :

– ليس معي قدر كاف. ولكن يمكنني أن أطلب بالبرق ما أحتاج إليه من مال!

فقالت السيدة "**رايس**" :

– سنحتاج إلى مبلغ كبير يكفي لتنفيذ فكرة خطرت لي.

فقال "**هارولد**" بصوت تلوح فيه نبرات اليأس:

– وما تلك الفكرة؟

فقالت السيدة "**رايس**" بصوت قوي:

– ليست أمامنا فرصة لإخفاء الجثة، ولكن يحسن أن نعلن نبأ الوفاة، بكل هدوء.

فلاحت في عيني "**هارولد**" بارقة من أمل لم يتوقعها وقال:

– هل ترين ذلك حقًّا؟

– نعم وسيكون مدير الفندق في جانبنا، فليس من مصلحته أن يعلن عن وقوع جريمة في فندقه تسيء إلى سمعة الفندق. وأعتقد أنه من السهل في مثل هذا الريف البلقاني أن نرشو أي شخص.. ورجال البوليس هنا أكثر ميلاً إلى الرشوة..!

فقال "**هارولد**":

– أنا في الحقيقة مقتنع بصدق رأيك..

فقالت السيدة "**رايس**":

– ومن حسن الحظ أنه لا يوجد أحد في الفندق يعلم بما حدث.

– ترى من ينزل بالغرفة المجاورة لغرفة "**أليس**"..؟

– السيدتان الغريبتان. ولكنهما لم تسمعا شيئًا.. وإلاّ لخرجتا إلى الممر للتحقق مما حدث. كما أن "**فيليب**" وصل متأخرًا ولم يره أحد غير الحارس الليلي، ولهذا أعتقد أنك توافقني يا سيد "**هارولد**" على إعلان نبأ وفاة "**كلايتون**" رسميًا. لنستخرج شهادة وفاة طبيعية. ولن يكلفنا ذلك إلاّ أن نكون أسخياء في دفع الرشوة إلى رئيس البوليس المختص..!

فابتسم "**هارولد**" وقال:

– ستتحول القصة إلى كوميديا مسرحية.. حسنًا.. يجب أن نحاول على كل حال.

◆◆◆◆◆

كانت السيدة "**رايس**" شخصية نشيطة لا تعرف السكون.. فاستدعت قبل كل شيء مدير الفندق. وكانت الرواية التي اتفقت مع "**هارولد**" على ذكرها هي: شجار حدث بين "**أليس**" وزوجها وسيثير شبابها الغض وجمالها الفاتن كل العطف عليها.

وفي صباح اليوم التالي أقبل نفر من ضباط البوليس وتوجهوا إلى غرفة السيدة "**رايس**" ثم تركوها عند منتصف الظهر..

وقد أبرق "**هارولد**" لطلب النقود.. ولكنه ظل بعيدا عن تحريات البوليس؛ بسبب جهله اللغة السلافية..

وفي تمام الساعة الثانية عشرة أقبلت السيدة "**رايس**" إلى غرفة "**هارولد**" شاحبة اللون متعبة، ولكن أسارير وجهها تنم عن الارتياح. قالت:

– لقد تم كل شيء.

– الحمد لله.. لقد كنت رائعة حقًّا! إني لا أكاد أصدق..!

فقالت السيدة "**رايس**" بصوت عميق:

– لقد فهمت المسألة بسهولة، لدرجة جعلتني أتصور أنها كانت طبيعية..! ولكن الجميع كانوا يبسطون أيديهم في طلب الرشوة.

فقال "**هارولد**":

– ليس هذا وقت المناقشة في الرشوة وكم بلغت.

– ولكن المبلغ ضخم.

وأخذت السيدة "**رايس**" تقرأ كشفا في يدها:

أولا: رئيس البوليس..

ثانيا: مفتش البوليس..

ثالثا: الوسيط.

رابعا: الدكتور.

خامسا: مدير الفندق.

سادسا: الحارس الليلي للفندق.

ولم يعلق السيد "**هارولد**" على هذا البيان إلاّ بقوله:

– لا داعي لدفع مبلغ كبير إلى حارس الفندق.

فقالت السيدة "**رايس**":

– ولكن مدير الفندق أصر على أن يكون حادث الموت قد وقع خارج الفندق. ولهذا رتب الوضع الرسمي للرواية على أن "**فيليب**" شعر بنوبة قلبية وهو في

القطار.. فقام من مكانه وخرج يسير في الممر حتى وصل دون أن يشعر إلى الباب، وقد كان مفتوحًا فسقط من القطار.. ورجال البوليس كما تعلم لا يعجزهم شيء عندما يريدون قلب الحقائق..!

فقال "**هارولد**":

– أحمد الله على أن رجال "**اسكتلانديارد**" ليسوا من هذا الطراز.

ثم ذهب – وهو معتز بقوميته – لتناول الغداء..

◆◆◆◆◆

وقد قرر "**هارولد**" ألا يغير ما درج عليه في الأيام السابقة وهو أن يتناول القهوة بعد الغداء مع السيدة "**رايس**" وابنتها..

رأى "**أليس**" للمرة الأولى بعد تلك الحادثة المروعة.. كانت شاحبة اللون. لا تزال تعاني آثار الصدمة العنيفة، على الرغم من تجلدها وإخفاء شعورها بالتحدث عن الجو والمناظر الطبيعية..وأخذوا يتحدثون عن شخصية غريبة نزلت بالفندق، ولكنها مجهولة الهوية!

فقال "**هارولد**":

– إن هذا الشارب الكبير لا يكون إلاّ لفرنسي..

وقالت "**أليس**":

– ويحتمل أن يكون لألماني..

وقالت السيدة "**رايس**":

– أعتقد أنه شارب إسباني..

ولم يكن معهم أحد بشرفة الفندق غير السيدتين الغريبتين، وقد انتحيتا ركنا بعيدا، وكان "**هارولد**" كلما وقع نظره عليهما انتابته رعشة تهز أوصاله لغرابة أنفيهما الشبيهين بمناقير الطيور، وأيديهما المماثلة لمخالب النسور.

وجاء الخادم يخبر السيدة "**رايس**" أن شخصًا يريد مقابلتها. فقامت تتبعه.

وعند مدخل الفندق كان ينتظرها ضابط بثيابه الرسمية.. ولم يكن هذا المدخل بعيدا عن الشرفة.

فقالت "**أليس**" للسيد "**هارولد**" في خوف وذعر:

– هل تظن أن المسألة لا تسير في طريقها الطبيعي؟

فقال "**هارولد**":

– لا.. لا... كل شيء يسير على ما يرام.

ولكنه أحس في دخيلة نفسه بأن شيئًا قد حدث.. ثم عاد يقول:

– كانت أمك مدهشة في عملها..

فقالت "**أليس**":

– أنا أعرف أمي جيدا.. فهي دءوب على الكفاح.. ولا ترضى بالهزيمة.. ولكن المسألة جد خطيرة! أليس كذلك..؟

– لا تفكري طويلاً.. فكل شيء سيمر بسلام..!

فقالت "**أليس**" بصوت خافت:

– ولكني لن أنسى أني قتلته..!

فقال "**هارولد**" بسرعة:

– لا تنظري إلى المسألة من هذا الجانب.. ولكن اعتبريها حادثة قهرية.

وعادت السيدة "**رايس**" وعلى وجهها دلائل الارتياح وقالت:

– قد خفت في بادئ الأمر، ولكنه جاء يستوفي بعض الأوراق.. كل شيء يا أولادي يسير على ما يرام.. وقد استبعدنا من الحادث كلية. هيا نرفه عن أنفسنا ببعض الشراب.

وجيء بالشراب والكؤوس وقبل أن ينهلوا منها قالت السيدة "**رايس**":

– لنشرب نخب المستقبل السعيد!

وقال "**هارولد**" وهو يبتسم لـ"**أليس**":

– لنشرب نخب هنائك ورفاهيتك..!

وبادلته "**أليس**" ابتسامته وقالت:

– لنشرب نخب سعادتك ونجاحك، فأنا مؤمنة بأنك ستصبح رجلاً عظيماً..

كان للخوف الشديد الذي ألم بهم رد فعل كبير في نفوسهم فاستخفت الخمر أحلامهم وشعروا بسرور عظيم..

وقامت السيدتان البولنديتان من مكانهما من الشرفة، تطويان الصوف الذي تعملان فيه الإبر، ثم مرتا بالقرب من حاجز الشرفة حتى أصبحتا بالقرب منهم.

وبعد انحناءة خفيفة جلستا بالقرب من السيدة "**رايس**"..

بدأت إحداهما الحديث.. بينما راحت الأخرى تصوب نظرها إلى "**أليس**" و"**هارولد**"، وتبتسم لهما بابتسامة لم يجدا فيها أقل معنى للظرف والإخلاص.

وأخذ "**هارولد**" ينظر إلى السيدة "**رايس**" وهي تتحدث مع السيدة الأخرى بلغة وإن لم يفهمها إلاّ أنه عرف مدلولها على وجه السيدة "**رايس**"، الذي تجهم بسرعة وعادت إليه أمارات الحزن واليأس.. ولكن يبدو أن السيدة "**رايس**" قد أخذت من المعلومات أكثر مما أعطت..

ثم انصرفت السيدتان ودخلتا إلى الفندق..

واقترب "**هارولد**" من السيدة "**رايس**" وسألها بصوت أجش:

– ماذا حدث؟

فقالت السيدة "**رايس**" بصوت تتخلله نبرات اليأس:

– هاتان المرأتان ستشيان بنا؛ لأنهما سمعتا كل شيء في الليلة الماضية.. ونحن الآن على وشك إعلان الوفاة رسميًّا.. ولكن بلاغ هاتين السيدتين سيقلب الأمر ضدنا..!

◆◆◆◆◆

نزل "**هارولد**" ليتمشى حول البحيرة وهو كالمحموم.. لعله يستطيع بهذه الرياضة السهلة أن يستعيد نشاطه ويرفه عن أعصابه من أثر هذا اليأس القاتل

الذي انتابه..

ووصل إلى المكان المشئوم الذي التقت عنده السيدتان به وبحبيبته "**أليس**".. فأكلت عقارب الغيرة قلبيهما.. وصوبتا نحوهما من سهامهما المسمومة ما نغص عيشهما.

تمتم يقول:

– لعنة الله وغضبه وسخطه عليهما!

ولكن صوت سعال خفيف جعله يدير وجهه، فرأى الرجل ذا الشارب الكبير خارجًا من تحت الأشجار.

ماتت الكلمات على شفتي "**هارولد**" ومحت من صفحة ذهنه كل المعاني التي يريد التعبير عنها.. ولكن هذا الرجل القميء قد سمع من غير شك ما كان يقوله الآن..

فقال "**هارولد**" وهو يتظاهر بالسرور:

– طاب مساؤك يا سيدي..

فرد عليه الرجل بلغة إنجليزية مبينة:

– ولك طيب المساء يا سيدي.. وإن كنت أخشى ألا يكون كذلك.

فقال "**هارولد**" وقد عاوده الحزن ثانيًا:

– حسنًا.. أنا..

فقال الرجل:

– يُخيِّل إليّ أنك تعاني مشكلة خطيرة، ويمكنني أن أساعد إن شئت..؟

– لا شكرا. شكرا. وإنما أردت الفرار من الحر كما تعلم..!

فقال الرجل بلطف وهدوء:

– ولكني أعتقد بأني كفيل بمساعدتك.. إن لم أكن مخطئًا في تقديري سأعاونك في حل مشكلتك مع السيدتين اللتين كانتا تجلسان في الشرفة.

فحملق إليه السيد "**هارولد**" وقال:

– هل تعرف عنهما شيئًا؟ ترى من تكون أنت؟

فقال الرجل:

– أنا "**هركيول بوارو**". هيا بنا نمشي قليلاً في داخل الغابة لتخبرني عن حكايتك من أولها.. وأنا كما قلت كفيل بمساعدتك.

لم يدر "**هارولد**" لأي سبب يبوح بأسراره إلى رجل غريب لم يره في حياته إلاّ منذ بضع دقائق..

والمهم أنه روى لـ"**بوارو**" القصة كلها. وأصغى إليه "**بوارو**" في انتباه، وهز رأسه مرة أو مرتين في جد وهدوء، حتى إذا ما انتهى "**هارولد**" من روايته. قال "**بوارو**":

– الطيور الجارحة التي تقتات من لحوم البشر، وتعيش على ضفاف البحيرة.

فقال "**هارولد**":

– أستميحك عذرا..!

وقد ظن أن بهذا الرجل لوثة وخبلا..

وقال "**بوارو**" مبتسما:

– إنني أفكر بصوت مسموع. وهذه طريقتي في تناول الأمور.. وأما فيما يتعلق بمشكلتك التي سمعتها.. فيؤسفني أن أقول إنك في مركز دقيق.

فقال "**هارولد**" بقلق:

– لست في حاجة إلى أن تخبرني بذلك..

ولكن "**بوارو**" استمر يقول:

– نعم.. إنك لن تنجو من الاتهام وستستغل هاتان السيدتان موقفك من هذه الجريمة، وتسلبان منك أموالاً وفيرة للتستر عليك.. ولكن ماذا سيحدث لو أنك قصرت في إمدادهما بالمال المطلوب؟

فقال "**هارولد**" بمرارة:

– يحكم القضاء وينهار مستقبلي السياسي، وتسجن فتاة بريئة لم تؤذ في حياتها مخلوقا. والله وحده يعلم مصيرها المشئوم.

فقال "**بوارو**" :

– وعلى ذلك يجب أن نفكر فيما سنقوم به من عمل حاسم.

فقال "**هارولد**" :

– ماذا..؟

فصمت "**بوارو**" قليلا.. بينما مرت بذهن "**هارولد**" لمحة من الشك والارتياب في نياته. فقال "**بوارو**" :

– لقد حانت ساعة الدق على الناقوس..!

فقال "**هارولد**" :

– أنت مجنون حقيقة..!

فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– كلا يا عزيزي.. ولكنني أحب أن أتبع أمثال أسلافي الأبطال.. أرجوك أن تصبر بضع ساعات وغدا سترى كيف أنقذك ممن يتعقبونك للإضرار بك.

◆◆◆◆◆

وفي صبيحة اليوم التالي ذهب "**هارولد**" إلى شرفة الفندق حيث وجد "**بوارو**" جالسا بمفرده.. فأحس بشيء يدفعه نحوه للتحقق مما وعده به.

ذهب إليه يسأله في لهفة وشوق:

– هل تسير الأمور على ما نحب؟

فالتفت إليه "**بوارو**" وقال:

– نعم كل شيء على ما يرام..

– ماذا تعني بذلك؟

– لقد انتهت الأمور كما ينبغي.

– ولكن ما الذي حدث؟

فقال "**بوارو**" بهدوء:

– لقد نقرت على النواقيس. أو بالتعبير الحديث حركت أسلاك البرق.. بالاختصار قد استعنت بالبرق وسيجلو الطائران الغريبان عن هذا المكان.. وسيفزعان إلى جهة بعيدة. وبهذا سيستحيل عليهما تدبير حيلهما الشيطانية لاقتناص الغافلين مرة أخرى.

فقال "**هارولد**":

– إذن فقد كان البوليس يطاردهما وقد قبض عليهما في النهاية؟

– هذا ما حدث بالضبط..

فتنفس "**هارولد**" الصعداء وقال:

– يا للعجب! ما كان يخطر ببالي أن المسألة ستنتهي على هذا النحو. ثم نهض واقفا وهو يقول:

– سأذهب إلى السيدة "**رايس**" وابنتها "**أليس**" لأخبرهما بهذا النبأ السار..

فقال "**بوارو**":

– لقد عرفتا كل شيء..

فجلس "**هارولد**" ثانية وقال:

– حسنًا.. أخبرني إذن بما حدث..

ولكنه سكت فجأة عندما لمح السيدتين الغريبتين تخرجان من البحيرة بأنفيهما الشبيهين بمناقير الطيور، وأيديهما الشبيهة بمخالب النسور.. وسترتيهما المتمايلتين كالأجنحة.

فقال وهو يرتعد:

أظنك قلت إن البوليس قبض عليهما!

فنظر "**بوارو**" إليهما وقال:

– أوه.. هاتان السيدتان..؟! إنهما خطيرتان جدًا وقد أخبرك البواب أنهما من عائلة أرستقراطية وانخدعت بأناقتهما المفرطة.. والخالية في الوقت ذاته من الذوق والجاذبية..

فقال "**هارولد**" :

– لا أزال غير فاهم لما تقول . . ؟

فقال "**بوارو**" :

– إنك لم تفهمني ! فقد عنيت بالسيدتين المطاردتين من البوليس اثنتين أخريين هما السيدة "**رايس**" والسيدة "**كلايتون**" . . إنهما المشهورتان باسم الطائرين المفترسين، ويعيشان بطريقتهما المعروفة . . وهي الابتزاز . . فأحس "**هارولد**" بالدنيا تدور به . . ثم قال بصوت ضعيف :

– ولكن الرجل . . الرجل الذي قتل؟

– لم يقتل أحد . . ولم يكن هناك رجل .

– ولكني رأيته بعيني !

فقال "**بوارو**" :

– كلا . . وإنما هي السيدة "**رايس**" بقامتها المديدة . . وصوتها الأجش استطاعت أن تمثل دور الزوج بكل إتقان . . !

وانحنى إلى الأمام قليلا . . وربت ركبة "**هارولد**" . واستأنف حديثه :

– يُخيَّل إليّ يا صديقي أنك لم تختبر الحياة بعد . . فهي مليئة بالعجائب . . ليس من السهل رشوة رجال البوليس في الأرياف . وربما يستحيل ذلك في جرائم القتل . وقد استغلت المرأتان جهلك للغات الأجنبية . فقابلت السيدة "**رايس**" مدير الفندق . . وهي كما تعلم تتكلم الألمانية والفرنسية . . ثم حضر رجال البوليس وذهبوا إلى غرفتها . . وهذه مسألة سهلة؛ لأن مثل هذه المرأة لا تعدم وسيلة لإحضار رجال البوليس . . إذ يمكنها أن تدعي مثلا أنها فقدت مشبكا ألماسًا ثمينا أو أية حلية قيمة . .

ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟ طلبت أنت بالبرق مبلغا كبيرا من المال . . وعندما وصلك المال سلمته إليها؛ حتى لا تخفق مفاوضاتها المزعومة . ولم تكتف السيدتان بما سلبتاه منك بتلك الحيلة المدهشة . بل دفعهما الطمع إلى

استغلالك ما دمت حيًا.

فجاءت السيدتان الأنيقتان وجلستا إلى جوار السيدة "**رايس**" جلسة بريئة.. وأخذت إحداهما تتحدث إليها بلغة لم تفهمها.

وبهذا أمكن السيدة "**رايس**" أن تدبر حيلتها الثانية، لسلب أموالك تباعا، بدعوى أنها سترشو هاتين الجاسوستين البريئتين.. ولا شك في أن الخدعة انطلت عليك مثل سابقتها!

فتنفس "**هارولد**" وقال:

و"**أليس**".. "**أليس**"..؟

فقال "**بوارو**":

– لقد مثلت هي الأخرى دورها بمهارة عظيمة؛ لأنها ممثلة صغيرة بارعة. كل شيء فيها يدل على الطهر والبراءة وهي لا تستحق الإعجاب لأنوثتها بل لشجاعتها.

وسكت السيد "**بوارو**" قليلا ثم قال بصوت خافت:

– والإنجليز يغرمون كثيراً بالشجاعة..!

فقال "**هارولد**":

– سأبذل قصارى جهدي لتعلم اللغات الأوربية؛ حتى لا أدع لأي مخلوق فرصة لخداعي مرة ثانية.

- 6 -

المجنون

أخذ "**بوارو**" يتفرس في زائرته العجيبة.. فقد كانت شاحبة اللون، مبهورة الأنفاس وسألته بصوت متهدج:

– هل تستطيع يا سيد "**بوارو**" أن تعينني في مسألتي الشائكة؟

– من أنت أولاً يا سيدتي؟

– اسمي "**ديانا مابرلي**" .. وقد لجأت إليك؛ لأني عجزت عن أن أفعل شيئًا.

– أرجو أن تقصي عليّ مشكلتك من أولها.. لأقدر موقفك.

– لقد نكث خطيبي بعهده بعد أن لبثنا خطيبين قرابة عام..

– هذه مسألة عادية يا آنستي اللهم إلاّ إذا كان الدافع إلى فسخ الخطبة سببًا خطيراً..!

– نعم. فقد فسخ "**هيو**" خطبته؛ لأنه يعتقد أنه سيجن. ومن رأيه أن المجانين لا يجب أن يتزوجوا.

– ألا توافقين أنت على ذلك؟

– ولكني لا أعرف ما الجنون..؟ كل إنسان عنده شيء قليل من الجنون..!

– نعم. فهذا ما يقال عادة! ولكن هل لاحظت شيئا غريبا بدا من خطيبك؟

– كلا.. لم يظهر عليه أي شذوذ عقلي.

وسكت "**بوارو**" ثم استرسل في حديثه.. قال:

– ربما يوجد جنون موروث في أسرته؟

فهزت "**ديانا**" رأسها ثم قالت:

– قيل إن جده وعمته أصيبا بالجنون لفرط ذكائهما..

– إني لأسف من أجلك يا آنستي.

– لا أريد أن تأسف لي.. وإنما أريد عملاً..!

– ماذا تريدين أن أعمل لك؟

– لا أدري. ولكن لابد أن يكون في الأمر خطأ ما.

– أرجو أن تخبريني يا آنستي بكل ما يتعلق بخطيبك؟

فقالت "**ديانا**" في عبارة سريعة:

– اسمه "**هيو شاندلر**". وعمره أربعة وعشرون عاما. أما أبوه فهو الأميرال "**شاندلر**". وهم يقيمون في قصر "**لايد**" الذي يتوارثونه منذ عهد الملكة

"**إليزابيث**" الأولى. و"**هيو**" وحيد أبيه. دخل البحرية جريا على تقاليد الأسرة.. ولكن أباه أخرجه منها.

– متى أخرجه أبوه؟

– أخرجه فجأة منذ عام تقريبا.

– هل كان "**هيو**" مسرورا في البحرية؟

– نعم.

– ألم يجد أية مضايقة..؟

– كلا.. ولكنه لم يفهم لماذا أقدم أبوه على ذلك..؟

– ما السبب الذي برر به الأميرال "**شاندلر**" عمله؟

– قال إنه يريد أن يمرن ولده على إدارة أملاكه..! ولكني أظن أنه يخفي وراء هذا السبب شيئًا آخر، ويشاركني في هذا الظن "**جورج فروبيشر**"..

– من "**جورج فروبيشر**"؟

– هو العقيد "**فروبيشر**" أقدم صديق للأميرال "**شاندلر**".

– ماذا كان رأيه في تصرف صديقه؟

– كان في حيرة بالغة، ولم يعرف أحد ما الذي دفع الأميرال إلى إخراج ابنه من البحرية.

– حتى ولا ابنه نفسه؟

فسكتت "**ديانا**" قليلاً. وانتظر "**بوارو**" لحظة ثم استرسل قائلاً:

– ربما دهش "**هيو**" حينذاك من تصرف أبيه. ولكن هل قال شيئا بعد ذلك؟

فغمغمت "**ديانا**" بحزن وأسى:

– منذ أسبوع قال إن أباه كان على صواب.

– هل سألته عن سبب ذلك؟

– طبعا ولكنه رفض أن يخبرني!

ولبث "**بوارو**" لحظة يفكر ثم قال:

– هل وقعت في إقليمكم في الفترة الأخيرة أحداث غريبة.. أحداث أثارت الأقاويل والتكهنات؟

– لست أدري ماذا تعني؟

– من مصلحتك أن تخبريني بصراحة!

– وقع حادث مزعج.. ذبحت بضع نعاج لفلاح شرس.. واعتبر البوليس الحادث انتقاميا..!

– هل قبض على الجاني؟

– لا.

ثم عادت تقول في شيء من الصرامة:

– إذا كنت تظن..

– أنت لا تعرفين ماذا أظن.. ولكن خبريني بصراحة عما إذا كان خطيبك قد استشار طبيبا..؟

– كلا.. فأنا واثقة بأنه لم يفعل ذلك..

– ألم يكن ذلك أسهل طريق أمامه؟

– كلا.. لأنه يكره الأطباء!

– وأبوه؟

– أظن أن الأميرال لا يثق بهم ويقول إنهم تجار جشعون..!

– وما حالة الأميرال المعنوية؟ هل يبدو سعيدا؟

فأجابت بصوت خافت:

– لقد أدركته الشيخوخة فجأة في..

– في العام الأخير..

– نعم، وهو يبدو محطماً.

– هل وافق على خطبة ابنه؟

– نعم.. لأن أسرتينا متجاورتان من قديم الزمن.. وقد فرح الأميرال كثيرا

بخطبتنا..!

– وماذا قال عندما فسخت الخطبة؟

فظهرت رعشة خفيفة في صوت الفتاة وهي تقول:

– قابلته أمس صباحا فألفيته متجهم الوجه.. وأمسك بيدي وقال: «إني أفهم يا فتاتي خطورة هذه المسألة.. وشدة وقعها على نفسك.. ولكن لم يكن أمام ابني إلاَّ أن يسلك هذا السبيل»!

فقال "**بوارو**":

– ولهذا السبب جئت إليّ هنا..؟

– نعم.. هل يمكنك أن تفعل شيئًا؟

– لا أدري.. ولكني سأبحث الموضوع على الطبيعة.

◆◆◆◆◆

راع "**بوارو**" حسن منظر "**هيو**". فقد كان متين الجسم، متناسق التركيب، مفتول العضلات، عريض الصدر. وتدل هيئته على قوة طاغية.

ذهب الاثنان إلى منزل "**ديانا**".. ومن ثم إلى قصر "**لايد**" حيث يقيم الأميرال "**شاندلر**"..

كان الأميرال يجلس مع صديقه العقيد "**فروبيشر**".. أما الأول فكان يبدو أكبر من سنه الحقيقي. فهو مقوس الظهر، غائر العينين، داكن الأجفان.. وعلى النقيض كان صديقه نحيل البدن، أحمر الشعر يرخي العنان لجفنيه. فتحسبه على جانب من الخجل.. بينما هو لا يفارقك فحصا بمؤخرة عينيه.

جلس "**بوارو**" بجوار "**فروبيشر**" وانتحى الأميرال وابنه و"**ديانا**" ركنا إلى مائدة الشاي يتحدثون.. فقال "**فروبيشر**" وهو ينظر إلى "**هيو**":

– شباب فتي وقوة هائلة!

فقال "**بوارو**":

– نعم.. شباب وقوة..! إنه طراز ممتاز للرجولة الفتية.!

فنظر إليه "**فروبيشر**" بشيء من الارتياب وقال:

– إنني أعرف من أنت..

– ليس هذا سرًّا..

– هل وكلت إليك الفتاة حل مشكلتها؟

– مشكلة؟

– نعم.. مشكلتها مع "**هيو**"! ولكني لا أفهم معنى اختيارها لك؛ لأن الموضوع يكاد أن يكون من اختصاص الأطباء وليس من اختصاصك!

– إن جميع المشكلات من اختصاصي.

– ولكن ماذا تنتظر الفتاة منك؟

– الآنسة "ماربلي" فتاة مناضلة!

– نعم إنها فتاة مناضلة، ولكن أفلا توجد أشياء لا يمكن النضال ضدها؟!

– نعم.. مثل المرض الذي يحل بالأسرة. مرض تتوارثه الأسرة جيلاً بعد جيل، يختفي حينًا ويظهر حينًا آخر. وقد كان "**هيو**" آخر من ظهرت عليه أعراض المرض..

وهنا اختلس "**بوارو**" نظرة إلى الجانب الآخر.. فوجد "**ديانا**" وصاحبيها يضحكون ويسمرون، وكأنهم لا يكترثون بالمحنة التي تهدد سعادتهم.

– ما أعراض ذلك المرض الجنوني؟

– عندما بلغ الفتى سن الثلاثين وصل إلى ذروة القوة، وبعد ذلك اختل عقله.. وشاع أمره بين الناس فازدادت حالته سوءا..!

ثم صمت لحظة واستمر يقول:

– سيذوي عوده النضير وسيهزم بسرعة، وهذا ما يخشاه "**هيو**" طبعا. ولهذا يحجم عن عرض نفسه على أحد الأطباء؛ حتى لا يحكم عليه باعتزال الناس..!

– ما شعور الأميرال في هذه المسألة..؟

– لقد هدت كيانه وحطمت أعصابه..!

– هل يحب ابنه كثيرا؟

– نعم.. لقد فني الأميرال في حب ابنه. ولم ينجب غيره ولم يتزوج منذ أن توفيت زوجته وتركت وحيدها طفلا. فكرس الأب حياته لابنه حتى نما وترعرع.

– هل كان مخلصا لزوجته؟

– كان يحبها إلى درجة الجنون.. ومنذ غرق بها الزورق في اليم، حين كان ابنها طفلا في العاشرة من عمره لم يتزوج.. وصرف عنايته للابن..! وقد كانت الفقيدة جديرة بهذا الحب لا من زوجها فقط؛ بل من جميع معارفها. هل تريد أن ترى صورتها؟

– نعم إنني أرغب في رؤية الصورة!

فنهض "**فروبيشر**" واستأذن من صديقه الأميرال وتبعه "**بوارو**" !

بدا له القصر لأول وهلة مظلما كالجب.. ولكنه أحس بروعته وفخامته، فسار وراء "**فروبيشر**" إلى صالة الصور. فرأى عددا كبيرا منها معلقًا على الجدران. الرجال في زيهم البحري الرائع، والنساء في أثوابهن الفخمة، وحليهن الثمينة.

استرعى نظر "**بوارو**" في النهاية صورة إحدى السيدات.. فوقف يتأملها مليا وغمغم قائلا:

– صورة رائعة.. تفيض حيوية وأنوثة!

فقال العقيد "**فروبيشر**" :

– إن ابنها يشبهها تماما.. ولو أنه لم يرث عنها الرقة والظرف. وربما يرجع ذلك إلى الفرق بين الذكور والإناث، لكنه فيما عدا ذلك نسخة ثانية عن أمه.

ثم صمت لحظة، استطرد بعدها قائلاً:

– وقد ورث مع الأسف الشديد عن أجداده الشيء الذي لا يمكن التخلص منه. وصمت الرجلان لحظة طويلة أحس "**بوارو**" خلالها كأنه يعيش في دنيا الأموات. ولكنه تخلص من هذا الشعور بأن التفت إلى العقيد "**فروبيشر**"

فوجده لا يزال يتأمل صورة السيدة الفاتنة. فسأله:

– هل كنت تعرفها جيدا؟

– لقد نشأنا سويًا منذ الطفولة.. ثم دارت الأيام فالتحقت بخدمة الجيش في "**الهند**".. ولما عدت وجدتها قد تزوجت من "**تشارلز شاندلر**"..!

– هل تعرفه هو أيضا منذ القدم؟

– **تشارلز**" من أقدم أصدقائي وأكثرهم وفاء على الود والولاء..

– هل كنت تراهما كثيرا بعد الزواج؟

– لقد تعودت أن أقضي إجازتي هنا؛ لأني أعتبر هذا المكان بيتا ثانيا لي، وقد اعتاد "**تشارلز**" و"**كارولين**" أن يحتفظا لي بغرفة خاصة. ولهذا حضرت لأكون إلى جانب الأميرال "**تشارلز**" إذا استدعى الأمر ذلك!

وهنا طغت عليهما موجة من الحزن وقال "**بوارو**":

– ما رأيك في الموضوع الذي نحن بصدده؟

فصمت "**فروبيشر**" قليلا وأرخى جفنيه كعادته.. وقال:

– أظن أنه يحسن توفر الصراحة فيما بيننا.. فأنا لا أفهم غرضك من البحث في هذه المسألة.. ولا السبب الذي استدعتك من أجله "**ديانا**" إلى هنا؟

– لعلك سمعت أن خطبتها إلى "**هيو**" قد فسخت؟!

– نعم لقد سمعت.

– وربما تكون قد عرفت السبب؟

فأجاب "**فروبيشر**" في شيء من الإصرار:

– لست أعرف السبب، فهذه مسألة خاصة لا يجوز لي التدخل فيها!

فقال "**بوارو**":

– لقد أخبر "**هيو**" "**ديانا**" بأنه ليس من الصواب أن يتزوجا؛ لأن المرض يدنو منه بخطى حثيثة..!

فتفصد جبين "**فروبيشر**" بالعرق وقال:

– أتريد أن نعود إلى التحدث عن ذلك المرض اللعين؟ فماذا يمكنك أن تفعل؟ وماذا كان ينتظر من "**هيو**" عندما شعر بأعراض المرض إلا أن يفسخ خطبته؟ إنه مرض وراثي وليس لأحد حيلة في دفعه.

– أرجو أن أعود مقتنعًا بصدق نظريتك!

– كل المعلومات التي تريدها عندي..

– ولكنك لم تخبرني بأي شيء..!

– قلت لك إني لا أريد أن أسهب في موضوع المرض.

– لماذا أرغم الأميرال ابنه على ترك الخدمة في البحرية؟

– لأنه السبيل الوحيد الذي كان يجب اتباعه.

– لماذا؟

ولكن "**فروبيشر**" هز رأسه في إصرار دون أن يتكلم...

فسأله "**بوارو**" بهدوء:

– هل كان لهذه المسألة علاقة بالنعاج التي ذبحت..؟

فقال "**فروبيشر**" بغضب:

– إذن فقد سمعت بهذا الموضوع أيضا..؟

– لقد أخبرتني "**ديانا**"..!

– كان يجدر بهذه الفتاة أن تغلق فمها؛ لأنها لا تعرف شيئا..

– وما ذلك الشيء الذي تجهله؟

فقال "**فروبيشر**" والغضب يتطاير من عينيه شزرًا:

– حسنا. سأخبرك بالحقيقة ما دمت تبحث عنها.. في إحدى الليالي سمع الأميرال "**شاندلر**" ضوضاء وجلبة. فظن أن أحد اللصوص قد هاجم الدار. ونهض من فراشه ليتحقق من الأمر. رأى غرفة ابنه مضاءة فدخلها، فوجد ابنه يغط في نومه بينما كانت ثيابه ملوثة بالدم كما وجد بالغرفة آنية مليئة بالدم، ولكنه لم يستطع أن يوقظ ابنه.

وفي صبيحة اليوم التالي سمع بحادث النعاج التي ذبحت.

فسأل ابنه فأنكر معرفته بالحادث. ولم يتذكر أنه بارح البيت، ولا الآنية المليئة بالدم. ولم يتذكر أي شيء يتعلق بهذا الحادث على الرغم من وجود حذائه ملوثًا بالوحل.

جاءني بعد ذلك "**تشارلز**" ليستأنس برأيي فيما يجب عمله إزاء الموضوع الخطير. وتكرر الحادث بعد ذلك ثلاث مرات. فلم نجد وسيلة غير إخراج "**هيو**" من البحرية ليكون تحت رقابة أبيه.. الذي لم يستطع أن يتحمل مسؤولية ابنه المجنون في البحرية..!

فقال "**بوارو**":

– ماذا حدث بعد ذلك..؟

– لا أستطيع أن أقول أكثر مما قلت.. أفلا تظن أن "**هيو**" قد سلك السبيل السوي عندما فسخ خطبته؟

فلزم "**بوارو**" الصمت ولم يحر جوابا.

◆◆◆◆◆

لقيا عند عودتهما الأميرال "**تشارلز**" فابتدرهما بقوله:

– ألا تزالان هنا..؟ أريد التحدث معك يا سيد "**بوارو**".. فهل تسمح بالحضور إلى مكتبي؟

وسار الأميرال وتبعه "**بوارو**" إلى أن دخلا غرفة المكتب، وهناك أشار الأميرال إلى ضيفه بالجلوس على مقعد مريح وقال له:

– إنه ليؤلمني كثيراً أن تستدعيك "**ديانا**" الحزينة لبحث هذه المأساة الخاصة.. ولست أنكر شدة وقع الحادث في نفسها.. ولكن ألا تظن يا سيد "**بوارو**" أنها مأساتنا الخاصة وأننا لا نحب أن يتدخل أجنبي في شئوننا العائلية؟

– إنني أستطيع أن أدرك شعورك تماما!

– لا يمكن لـ"**ديانا**" الصغيرة أن تصدق.. وأنا شخصيًّا لم أصدق لولا أنني وقفت أخيراً على الحقيقة.

– أية حقيقة؟

– الوراثة.. إن المرض ينتقل في دمائنا بالوراثة!

– ولكنك كنت موافقا على الخطبة؟

– لم تكن لديّ فكرة عن هذا المرض؛ لأن حالة "**هيو**" الصحية كانت لا تدل على وجود أي أثر للمرض.

– ألم تستشر أحد الأطباء؟

فغضب الأميرال "**تشارلز**" وقال مزمجراً:

– كلا لن أستشير أي طبيب.. إني مطمئن على ابني ما دام بمأمن تحت رعايتي! ولكن إذا رآه الأطباء فسيحكمون عليه بالحبس الانفرادي كالحيوان المتوحش..!

– أنت تقول إنه بمأمن. ولكن هل يأمن الآخرون شره؟

– ماذا تعني؟

ولكن "**بوارو**" لبث صامتًا.. فقال الأميرال:

– (كل إنسان ميسر لما خلق له).. إن مهنتك هي البحث عن المجرمين وابني ليس مجرما.

– ولكن مسألة النعاج؟

– من الذي أخبرك عنها؟

– "**ديانا مابرلي**" وصديقك العقيد "**فروبيشر**"..

– كان جديرا به ألاّ يخوض في هذا الموضوع...

– ولكنه صديقك من عهد طويل. أليس كذلك..؟

– بلى. "**فروبيشر**" من خيرة أصدقائي.

– وقد كان صديقا لزوجتك أيضا؟!

فقال الأميرال "**تشارلز**" وهو يبتسم:

– نعم.. وكان يحبها حبا شديدا كما أعتقد.. إنه امتنع عن الزواج طيلة أيام صباها. ولكني كنت أوفر منه حظا فظفرت بها وجعلتها تنتزعه من قلبها!!

– هل كان العقيد "**فروبيشر**" معك عندما غرقت زوجتك؟

– نعم.. كان "**فروبيشر**" معنا في "**كورونول**".. ولكنه آثر أن يبقى في المنزل في ذلك اليوم. وخرجت مع زوجتي وركبنا زورقا أخذ يطفو بنا على الأمواج في رفق وهدوء حتى فاجأتنا عاصفة قوية قذفت بالقارب إلى إحدى الصخور فحطمته.

وهنا صمت قليلا وعاد يقول بصوت متهدج:

– أمسكت بزوجتي وحاولت أن أنقذها من الموت، ولكني لم أستطع فابتلعها اليم، ولفظها في اليوم الثالث. فوجدنا جثتها طافية على سطح الماء.. ولم يكن "**هيو**" حينئذ معنا.. فحمدت الله على لطفه بنا.. ولكني مع الأسف الشديد وددت الآن لو أنه كان حاضرا في تلك المأساة حتى لا يمر بمحنته الحاضرة..!

واعترت الأميرال موجة من الأسى.. فتنهد ثم قال:

– لا يوجد من سلالة "**شاندلر**" غيري أنا وابني.. وستنقطع الذرية بموتنا.. وكنت أوثر ألاّ أتكلم عن المرض إذا قدر لابني الزواج من "**ديانا**". ولكني حمدت الله على عدم إتمام هذا الزواج.. وليس لدي يا سيد "**بوارو**" من الأقوال أكثر مما ذكرت!

◆◆◆◆◆

جلس "**بوارو**" في حديقة الورد مع "**هيو**" بعد أن تركتهما "**ديانا**" والتفت إليه الشاب بوجهه الصبوح وقال:

– هل أفهمتها المسألة يا سيد "**بوارو**"؟

ثم سكت قليلاً واستطرد يقول:

– لا تريد "**ديانا**" أن تلقي سلاحها.. إنها تؤثر أن تستمر في المعركة إلى النهاية؛ لأنها تعتقد أني سليم العقل!

– بينما تعتقد أنت أنك مجنون؟!

– لا أعتقد أنني جننت فعلا.. ولكني أشعر بأنني في طريقي إلى الجنون.. ولكن "**ديانا**" لا تصدق ذلك؛ لأنها تراني سليماً معافى..!

– وإذا تبين لكم أنكم مخطئون جميعا في ظنكم هذا.. فماذا يحدث؟

فتنفس "**هيو**" الصعداء وقال:

– ولكني رأيت ذات ليلة حلما. وهذا الحلم يدل على جنوني الفعلي. ورأيت حلما آخر أمس.. لم أكن في هذا الحلم رجلا. وإنما كنت في هيئة ثور ضخم مجنون أجري في وهج الشمس ويلوث فمي الغبار والدم.. ثم انقلبت بعد ذلك إلى كلب عقور، أجري هنا وهناك على غير وعي، فيفزع مني الصغار، ويحاول الكبار أن يطلقوا عليّ الرصاص؛ ليستريحوا من شري.. ويقدم إليّ أحدهم في النهاية وعاء به ماء لأشرب، لكني امتنعت...

ثم توقف عن الحديث لحظة وعاد يقول:

– ولما استيقظت وجدت أن ما حدث لي في المنام كان حقيقة؛ لأني عندما توجهت لأغسل وجهي وجدت فمي مغلقا ولساني جافا. كنت أحس بعطش شديد، ولكني لا أقوى على الشراب.. ولا أحتمل أن أزدرد شيئا ما.. يا إلهي.. لم أكن قادرا حتى على تناول الماء بسهولة!

فتمتم "**بوارو**" بين شفتيه بعبارات التأسي والإشفاق...

وتحول لون الفتى وجحظت عيناه.. ثم دفن وجهه بين ركبتيه كأنه يخاف من شيءقادم عليه واستمر يقول:

– هناك أشياء أراها في اليقظة.. أرى الأطياف والمناظر المزعجة.. وأشعر بأني قادر على الطيران كالذبابة، فأترك فراشي لأسبح في طبقات الأثير..!

فرثى "**بوارو**" كثيرا لحالة الفتى وقد عاد يقول:

– فهل هناك أدنى شك في جنوني يا سيد "**بوارو**"؟ إنه مرض في الدم ورثته عن أجدادي والحمد لله الذي لم يقدر لي الزواج بـ"**ديانا**" حتى لا ننجب أطفالا مجانين! ثم وضع يده على كتف "**بوارو**" وقال:

– أرجوك أن تفهمها جيدا حتى تقتنع بصدقي.. والأيام وحدها كفيلة بأن تنسيها صدمتها الحالية.. خصوصا إذا تزوجت "**ستيفن جراهام**".. وهو شاب سليم العقل لا يشوبه شيء! وأعتقد أنها ستكون سعيدة آمنة.. وسيرى أهلها أنهم كانوا موفقين في العدول عن زواجنا، واختيار "**جراهام**" زوجا صالحًا لابنتهم.

فقاطعه "**بوارو**" بقوله:

– لماذا سيرتاح أهلها لفسخ الخطبة..؟

فارتسمت على وجه "**هيو**" ابتسامة عذبة جميلة.. وقال:

– لأن ثروة والدتي قد آلت إليّ.. وأنا بدوري سأتركها لـ"**ديانا**".

– ولكن ربما تمتد حياتك إلى سن الشيخوخة..؟

– كلا فلن يمتد بي الأجل طويلا كما تظن يا سيد "**بوارو**".. ثم نظر إلى جوار "**بوارو**" وقال وهو يرتعش:

– يا إلهي..! انظر إلى هذا الهيكل العظمي الذي يهتز بجانبك! إنه يناديني!

ثم اتسعت حدقتاه وقال في فزع وخوف كالأطفال:

– ألا ترى شيئا؟

فهز "**بوارو**" رأسه بهدوء.. وقال "**هيو**" بصوت أجش:

– لا يهمني هذه الرؤى المزعجة.. على كل حال. ولكني لا أخاف شيئًا مثل الأحلام المفزعة.. فأنا لا أنسى مثلا منظر الدم في غرفتي وعلى ثيابي. لقد وجدت في صباح أحد الأيام ببغاءنا العزيز مذبوحا، كما وجدت بيدي سكينا عليه آثار الدماء! ثم دنا من "**بوارو**" وهمس قائلاً:

– وقد وقعت حوادث أخرى في قريتنا.. وجدت بعض النعاج والحملان

مذبوحة، ورأوا كلبا مقتولا.. حتى أن أبي اضطر إلى غلق الأبواب كل ليلة. ومع ذلك فإنها توجد مفتوحة في الصباح.. فلابد أني أملك مفاتيح في مكان مجهول، وأن الروح الشريرة تتقمصني كل ليلة، فتحيلني وحشا مخيفا، وشيطانا مريدا، أظمأ إلى الدماء ولا أستطيع شرب الماء..! الماء..!

ثم دفن رأسه بين يديه فجأة.. وبعد دقيقتين سأله "**بوارو**":

– لم أستطع معرفة السبب في عدم عرض نفسك على طبيب؟

فهز "**هيو شاندلر**" رأسه وقال:

– ألا تفهم السبب؟ ألا تراني قويا كالثور؟ جباراً كالمارد؟ ويمكن أن أعيش طويلا..؟ ولكنني أفضل الموت السريع على الحياة بين أربعة جدران كما سيأمرني الأطباء بأن أفعل..! وهناك طرق عديدة للانتحار ستعرفها "**ديانا**" إذا أرادت..!

وبدلا من أن يساجله "**بوارو**" هذه الآراء قال له:

– ماذا تأكل؟ وماذا تشرب؟

فمال "**هيو**" برأسه إلى الوراء وضحك بصوت مرتفع وقال:

– هل تظن أن ما بي نتيجة سوء الهضم..؟ هل هذه فكرتك..؟!

فأعاد عليه "**بوارو**" السؤال مرة ثانية. فقال:

– آكل وأشرب كسائر الناس!

– ألا تتعاطى شيئا للعلاج؟

– هل تعتقد أن العقاقير تشفيني من هذه الاضطرابات؟ هل هناك علاج للأمراض العقلية؟

فقال "**بوارو**" بصوت جاف:

– هل يوجد بمنزلكم من يعاني اضطرابا في النظر؟

فحملق إليه "**هيو**" وقال:

– أبي يعاني اضطرابا شديدا بعينيه. وهو يتردد كثيرا على طبيب العيون..!

– أظن أن العقيد "**فروبيشر**" قضى معظم حياته في "**الهند**"..؟

– كان ملتحقا بالجيش الهندي وعاش في "**الهند**" زمنا طويلا، حتى أصبح ملماً بطبيعةالبلاد وعادات أهلها وتقاليدهم.

فصمت "**بوارو**" قليلا ثم نظر إلى محدثه وقال:

– يلوح لي أنك حلقت ذقنك؟!

فمر "**هيو**" بأنامله على ذقنه وقال:

– نعم.. ولكنها لا تزال خشنة. وقد لاحظ أبي ذلك مرة. ولكن أعصابي مضطربة في هذه الأيام كما تعلم، وأجد مشقة في الحلاقة!

– يحسن أن تستعمل بعض الدهون للتطرية..

– إني أستعمل بعض الدهون أعطانيها عمي "**فروبيشر**"! ثم ضحك فجأة وقال:

– ترى لماذا أصبحنا نتكلم كالنساء.. عن العطور والدهون والعقاقير؟ ماذا ترمي إليه يا سيد "**بوارو**"؟

– أريد أن أبذل أقصى ما في وسعي لخدمة "**ديانا مابرلي**"..! فتغيرت ملامح "**هيو**" وبدت عليه علامات التعقل والروية.. وضع يده على كتف "**بوارو**" وقال:

– ابذل أقصى ما في جهدك لمساعدتها، وقل لها أن تحاول أن تنساني ولا تفكر فيّ مطلقا، وكاشفها بالحقيقة المرة لعلها تقتنع، وأيد حديثك إليها ببعض القصص التي رويتها لك عن متاعبي واضطراباتي.. لتنساني إلى الأبد..

◆◆◆◆◆

قال "**بوارو**":

– أرجو أن تتشجعي يا آنستي، لأنك تحتاجين إلى شجاعة فائقة. فصاحت "**ديانا**" قائلة:

– إذن فقد ظهرت الحقيقة ووضح أنه مجنون؟!

– لست أنا الذي أقول إنه مجنون.. "**هيو**" سليم العقل!

فدنت منه الفتاة وقالت:

– ولكن الأميرال **شاندلر**" والعقيد "**فروبيشر**" يجزمان بأنه مجنون.. و"**هيو**" نفسه يعتقد بأنه مجنون..!

– وأنت يا آنستي؟

– أنا..؟! أنا أقول بأنه ليس مجنونا.. ولهذا..

وسكتت قليلا ثم قالت:

– ولهذا طلبت الاستعانة بك..!

– نعم.. لأني لا أستطيع التكهن بأي سبب آخر لاستدعائي سوى اعتقادك بأن "**هيو**" ليس مجنونا.. هل يوجد سبب آخر يا آنستي..؟

– لا أستطيع أن أفهم هدفك من هذا السؤال..!

– من "**ستيفن جراهام**"؟

– "**ستيفن جراهام**"؟ أوه إنه أحد الناس..!

وأمسكت الفتاة بذراع "**بوارو**" وقالت:

– ماذا يدور بخلدك؟ فيم تفكر؟ إنك تتوارى خلف هذا الشارب الكبير وتنظر إلى ضوء الشمس.. ولكنك لم تخبرني بأي شيء..! لماذا تبعث الرعب في قلبي؟ لماذا أخافك كثيرا؟

فقال "**بوارو**":

– ربما.. لأني أشعر بدوري بخوف شديد..!

فحدجته بعينيها الرماديتين وهمست قائلة:

– مم تخاف..؟

فتنهد تنهدة عميقة وقال:

– إن القبض على القاتل أسهل من منعه من ارتكاب القتل!

– القاتل؟ أرجو ألاَّ تذكر أمامي هذه الكلمة..!

فغير "**بوارو**" أسلوبه وموضوع الحديث وقال بسرعة وحزم:

– من الضروري يا آنستي أن نقضي هذه الليلة معًا لتدبير مسألتك؟

– حسنًا.. ليس لدي أي مانع.. ولكن لماذا؟

– لأننا يجب ألا نضيع لحظة من وقتنا.. وقد قلت بأن لديك شجاعة كافية، فأرجو أن تبرهني على شجاعتك وأن تنفذي ما آمرك به.. دون أي سؤال!

فهزت رأسها دون أن تنبس ببنت شفة وخرجت وتبعها "**بوارو**".

◆◆◆◆◆

وجد غرفة "**هيو**" معدة إعدادا تاما.. رأى بأحد أركانها حوضا فخما عليه صنبوران للماء الساخن والبارد.. وبأعلاه رف زجاجي عليه بضع أنابيب وزجاجات، ثم هبط إلى الدور الأول ولحقته "**ديانا**".. ولكن الأميرال "**تشارلز**" خرج من غرفة المكتبة ودعاه للدخول. فدخل "**بوارو**" إلى المكتبة مع الأميرال وأغلق الباب.. فقال الأميرال "**تشارلز**":

– أحب أن أفهمك يا سيد "**بوارو**" أني لا أحب ذلك..

– ما ذلك الذي لا تحبه؟

– "**ديانا**" مصرة على أنك وهي ستقضيان هذه الليلة عندي، ولست مستعدا لأن أضيفكما..

– ليست المسألة هي مسألة الضيافة.

– قلت لك بكل صراحة يا سيد "**بوارو**" إني لست مستعدا لهذه الضيافة! ولن أفهم الدافع لك على البقاء هنا.

– لأني أحاول إجراء بعض التجارب!

– ما نوع هذه التجارب؟

– معذرة يا سيدي؛ لأن هذا سر مهنتي.

– ولكن لم أستدعك يا سيد "**بوارو**" لمباشرة الموضوع في هذا المكان..

فقاطعه "**بوارو**" بقوله:

– أرجو أن تصدقني يا سيدي الأميرال، إذا قلت لك إني مقدر لوجهة نظرك. وقد سمعت منك ومن العقيد "**فروبيشر**" ومن ابنك "**هيو**" روايات لا سبيل إلى تصديقها إلاّ بعد أن أرى بعيني وأتحقق بنفسي..

– ما الذي تريد أن تراه؟ هل يوجد شيء ما يمكنك مشاهدته؟ لقد قلت لك بأنني أغلق الأبواب على "**هيو**" كل ليلة!

– ومع ذلك يحدث أحيانا كما أخبرني "**هيو**" أن توجد الأبواب مفتوحة في الصباح.

– ماذا تعني؟

– ألم تجد بنفسك الباب مفتوحا في الصباح؟

فقطب "**شاندلر**" حاجبيه وقال:

– يُخيَّل إليّ أن "**فروبيشر**" هو الذي فتح الباب.

– أين تترك المفتاح؟ هل تتركه بموضعه من القفل؟

– كلا، وإنما تعودت أنا و"**فروبيشر**" وخادمنا "ويذر" على وضعه بمكانه بجوار الباب، ولا يؤخذ من مكانه إلاّ في الصباح. وقد أخبرت الخادم بأننا نخبئ المفتاح من "**هيو**"؛ لأنه مصاب بمرض النوم.. بل أستطيع أن أقول إن خادمنا يعلم ما هو أكثر من ذلك.. ولكنه لا يبوح بشيء. فقد خبرت أمانته وعظيم إخلاصه لنا أثناء خدمته الطويلة لنا..!

– هل يوجد مفتاح آخر؟

– هذا ما لا أعرفه...

– لعل بعضهم قد صنع مفتاحا آخر.

– ولكن من...

– يعتقد ابنك أن لديه مفتاحا آخر مخبأ في مكان ما. ولو أنه لا يعرفه في

يقظته.

وهنا صاح العقيد "**فروبيشر**" من آخر الغرفة:

– لا أحب ذلك يا "**تشارلز**" ولا أوافق على وجود الفتاة...

فقاطعه الأميرال "**شاندلر**":

– هذا ما كنت أفكر فيه.. يجب ألاَّ تكون الفتاة حاضرة معك..! تعال َبمفردك يا سيد "**بوارو**" إذا شئت..

فقال "**بوارو**":

– إن "**هيو**" يحبها!

– ولذلك يجب ألاَّ تكون موجودة.. لا أحد يستطيع التكهن بما يفعله هذا المجنون..!

– ما دام الأمر كذلك فـ"**ديانا**" هي التي تقرر ما فيه مصلحتها!

وخرج "**بوارو**" من الغرفة فوجد "**ديانا**" تنتظره في السيارة وقالت له:

– هيا لنحضر ما يلزمنا لهذا المساء، ثم نعود في الوقت المناسب..! وانطلقت بهما السيارة، وقص عليها "**بوارو**" ما سمعه من الأميرال "**تشارلز**" والعقيد "**فروبيشر**" فضحكت وقالت باحتقار:

– هل يظنان أن "**هيو**" سيؤذيني؟

وطلب إليها "**بوارو**" أن تقف أمام مخزن للأدوات الطبية حتى يبتاع فرشاة أسنان.. وشد ما راعها أن يطول انتظارها له من أجل ابتياع الفرشاة المطلوبة!

◆◆◆◆◆

كان "**بوارو**" جالسا في غرفة النوم عند بزوغ الفجر، وكان يترقب ما تأتي به الأحداث بعد أن دبر خطته.

وما إن سمع وقع أقدام في الممشى حتى فتح الباب فرأى رجلين: هما "**شاندلر**" و"**فروبيشر**".. فقال الأول:

– هل تحضر معنا يا سيد "**بوارو**"؟

رأوا شخصا ممددا على الأرض أمام غرفة "**ديانا**" لم يتبينوه في اللحظة الأولى.. وعندما اقتربوا منه، وجدوه "**هيو**" مبهور الأنفاس، فاقد الصواب..!

كان يرتدي ثياب النوم ويمسك في يده سكينا عليه آثار الدم. فهتف "**بوارو**":

– يا إلهي..!

ولكن "**فروبيشر**" قال بحدة:

– إنها بخير ولم يمسها بسوء.. ثم نادى بأعلى صوته:

– "**ديانا**! دعينا ندخل..!

ففتحت "**ديانا**" باب غرفتها فبدا وجهها شاحبا كالأموات وقالت:

ما الذي حدث؟ كنت أسمع صوت محاولة لاقتحام غرفتي فانزعجت..!

فقال العقيد "**فروبيشر**":

– الحمد لله فقد كان بابك مغلقا بالقفل..!

– لقد نصحني السيد "**بوارو**" بأن أوصد الباب.

فطلب إليه "**بوارو**" أن ينبه "**هيو**" ويحضره إلى داخل الغرفة.. ونظرت الفتاة إلى "**هيو**" بعينين زائغتين وقالت:

– "**هيو**"؟ إنه "**هيو**" من غير شك؟! ماذا أرى في يده..؟

فقال الأميرال:

– لم يذبح إنساناً ولله الحمد.. وإنما ذبح قطا رأيت جثته في البهو، ثم جاء إلى هنا..!

فقالت "**ديانا**" في صوت يرتعش من الخوف:

– هنا؟! هل جاء إليّ؟!

فتنبه "**هيو**" عندما سمع صوت "**ديانا**" وقال:

– مرحبًا! ماذا حدث؟ لماذا أكون..؟

ثم حملق إلى السكين التي في يده وقال في انزعاج:

– ماذا فعلت..؟

وأخذ يقلب بصره فيمن حوله ويقول:

– هل هاجمت "**ديانا**"؟

فهز الأميرال رأسه وسأله ابنه:

– أخبرني عما حدث؟ يجب أن أعرف.. آه لقد فهمت.. وهنا بدأت خيوط الصبح تتسلل إلى الغرفة.. فأزاح "**بوارو**" ستار النافذة فامتلأت الغرفة بأشعة الشمس، وقام "**هيو**" يستقبل الصباح بابتسامة عذبة ويقول:

– ما أجمل الدنيا..! سأذهب إلى الغابة لاصطياد الأرانب..!

ثم خرج الفتى من الغرفة وأدرك أبوه أنه ينوي الانتحار فحاول اللحاق به، ولكن "**فروبيشر**" أمسك بذراعه وقال:

– دعه يذهب.. ذلك أفضل له..

وألقت "**ديانا**" بنفسها على الفراش يائسة حزينة..

◆◆◆◆◆

كان "**هيو**" يعد بندقيته للصيد، فاجأه "**بوارو**" بقوله:

– لا.. إنك لن تفعل ما يدور بخلدك.

فأجابه الفتى:

– أرجوك ألا تتدخل في شئوني. دعني وشأني وإلا..

– لا..!

– ما الذي يحدث لو لم يكن باب غرفتها مغلقا؟ كنت ذبحتها من غير شك؟ ولكني ذبحت القطة، أليس كذلك؟

– كلا..! إنك لم تذبح القطة ولا الببغاء ولا النعاج..!

فحملق إليه "**هيو**" وسأله قائلا:

– هل أنت المجنون أم أنا؟

– لم يكن أحدنا مجنونا!

وحضر الأميرال "**تشارلز**" والعقيد "**فروبيشر**" تتبعهما "**ديانا**" .. فاستقبلهم "**هيو**" بقوله:

– هذا الرجل يقول إني لست مجنونا.

فقال "**بوارو**" :

– يسعدني أن أقرر أنك سليم العقل ولا تشوبك أية لوثة.

فضحك كالمأفون وأخذ يتساءل في استخفاف:

– إنها لدعابة لطيفة، ألا أكون مجنونا؟ إذن فكيف ذبحت النعاج والببغاء والقطة؟

– قلت لك إنك لم تذبحها!

– من الذي فعل ذلك إذن؟

– شخص يحقد عليك.. يريد أن يظهرك أمام الناس مجنونا مختل الشعور. ففي كل مرة كان يدس لك مخدرا، ثم يضع في يدك سكينًا أو موسى ملوثة بالدم..! وأما الدم الذي وجد في الآنية بغرفتك فهو ما تبقى من غسل ذلك الشخص ليديه الملوثتين بالدماء..!

– ولكن لماذا يحدث كل هذا؟

– لكي يدفعك إلى الانتحار كما كنت تنوي في هذه اللحظة. فجحظت عينا "**هيو**" والتفت "**بوارو**" إلى العقيد "**فروبيشر**" وقال:

– لقد عشت وقتا طويلا بـ"**الهند**" .. ولا شك في أنك عرفت كيف يستطيعون بالمخدرات هناك أن يجعلوا من العاقل مجنونا.

– لم أجرب طرقهم بنفسي ولكني سمعت عنها.

فقال "**بوارو**" :

– إنهم أحيانا يستعينون بالداتورة، وببعض عقاقير أخرى ليسلبوا بواسطتها

شعور المرء وإدراكه، وأحيانًا يضعون عقاراً مخدرا في الدهون التي تستعمل عند الحلاقة، فتتسرب سمومها إلى داخل الجسم فتحدث جفافا في الحلق والفم، حتى ليتعذر على الإنسان أن يبتلع ريقه. وهذا ما شكا منه "**هيو**" ذات مرة..!

فنظر "**بوارو**" إلى "**هيو**" وقال:

– ولكي أزيل آخر أثر للشك من ذهنك، أخذت بعض الدهون التي تستعملها في الحلاقة وحللتها في المعمل فوجدت بها عقار "سلفات الأثروبين"

فسأله "**هيو**" في دهشة بالغة:

– من فعل هذا..؟ ولماذا..؟!

– هذا ما كنت أحاول الكشف عنه منذ حضوري. فهناك دوافع خفية للتخلص منك.. و"**ديانا**" هي الشخص الوحيد الذي يستفيد ماليا من موتك. ولكني لم أجد دليلا واحدا ضدها.!

– وهذا ما أرجوه بكل قوة..

– ثم لاح لي خاطر آخر. هو ذلك الثالوث الخالد المكون من رجلين وامرأة فالعقيد "**فروبيشر**" كان يحب ، والدتك، ولكن أباك تزوجها..

فصاح الأميرال "**تشارلز**":

– "**فروبيشر**"؟ "**فروبيشر**"؟ لن أصدق!!

وقال "**هيو**" في لهجة من الشك البالغ:

– هل تعني أن البغض يعيش حتى ينصب أثره على الابن؟

– نعم.. لظروف خاصة..!

فصاح "**فروبيشر**" قائلاً:

– إنه كذب صريح لا تصدقه يا "**تشارلز**"؟!

فازور منه "**تشارلز**" وقال لنفسه: الداتورة. "**الهند**". لقد فهمت كل شيء!

فنظر "**بوارو**" إلى "**فروبيشر**" وقال:

– لعلك كنت تشك في بنوة "**هيو**" لك فلم لم تكاشفه بالحقيقة..؟

– لم أكن متأكدا من ذلك.. فقد جاءتني "**كارولين**" ذات ليلة خائفة مذعورة.. ولم أعرف لخوفها سببا.. ففقدنا صوابنا وارتكبنا ما لم يكن لنا منه بد وانتهى كل شيء. ولكن "**كارولين**" لم تخبرني بعد ذلك بأن "**هيو**" ابني ولكنني شككت في الأمر. وعندما ظهرت عليه أعراض الجنون أدركت أن وهمي كان باطلاً.. وأنه ليس ابني.

فقال "**بوارو**":

– نعم. لقد أزال هذا الجنون المصطنع من ذهنك كل شك.. ولكن ألم تر أن ملامح "**هيو**" تشبهك تماما؟ لقد استطاع "**تشارلز**" بفراسته أن يتحقق من هذا التشابه منذ سنين طويلة، ولعله استطاع أن يستخلص الحقيقة من زوجته نفسها، وأعتقد أنها كانت تخافه وأنها حين رأت أعراض الجنون تظهر في سلوكه نحوها، هرعت إليك وألقت بنفسها في أحضانك.. أنت الشخص الوحيد الذي أحبته.

وبدأ "**تشارلز**" يدبر خطته الانتقامية. فماتت زوجته في حادثة الزورق التي لا يعرف حقيقتها سواه، ثم أخذت ترعى في قلبه نيران الحقد والكراهية لذلك الصبي الذي يحمل اسمه من غير أن ينجبه..

سمع منك كيف يستعملون في "**الهند**" الداتورة لسلب ذوي العقول عقولهم. فاستخدمها لتحقيق هدفه والانتقام من هذا الفتى الذي يذكره دائما بجريمة زوجته لكي يراه مخبول العقل يائساً من الحياة، والأميرال "**تشارلز**" هو الذي ذبح النعاج والببغاء والقط.. وهو الذي لوث ثياب الفتى بالدماء، وغسل يديه في الوعاء وأراد أن يجعل هذا الفتى كبش الفداء! هل تعرف متى شككت في نيات هذا الرجل؟ عندما امتنع بشدة عن عرض ابنه على طبيب.. أدركت أنه يمتنع عن ذلك؛ لأنه يخشى أن يقول الأطباء إن جنون "**هيو**" يمكن شفاؤه بخلاف جنونه هو الموروث عن الآباء!

فقال "**هيو**" بهدوء:

– عاقل.. إذن فأنا عاقل..؟

ثم تقدم من "**ديانا**" والعقيد "**فروبيشر**" وقال:

– وأنتما أيضاً عاقلان؛ لأن عائلتنا مبرأة من المرض!

فصاحت "**ديانا**" والبشر يعلو وجهها:

– "**هيو**"..!

أما الأميرال "**تشارلز**" فأخذ البندقية من "**هيو**" وهو يقول:

– أظن أنه يمكنني أن أصطاد بها الأرانب..

ولكن "**فروبيشر**" تقدم من صديقه محاولاً منعه مما انتواه. فأمسك "**بوارو**" بذراعه وقال:

– دعه يذهب.. ذلك أفضل له.. أنت نفسك قلت ذلك منذ لحظة.

وخرجت "**ديانا**" مع "**هيو**" من الغرفة.

أما "**بوارو**" و"**فروبيشر**" فلبثا ينظران من النافذة إلى آخر رجل من سلالة "**شاندلر**" وهو يقطع طريقه إلى الغابة.

ثم سمعا في النهاية طلقًا ناريًّا..

-7-

حتى يفرّق الموت بيننا

شعر "**جورج بايل**" بأعصابه تتوتر فجأة، حيث غادر المصعد وسار في الدهليز المؤدي إلى شقة "**مارشا كانون**".. فقطب حاجبيه وتجلد وقاوم الاضطراب الذي استولى عليه.

يجب ألا يكون هناك أي شك، أو تردد، أو تخاذل... لقد اتخذ قراراً نهائيًّا ولن يرجع عنه...

وأخرج المفتاح من جيبه ووضعه في قفل الباب وهو أشد تصميماً مما كان في أي وقت مضى.

وسمعت "**مارشا**" حركة المفتاح في القفل.

كانت شابة سمراء، ذات وجه جميل وجسد مثير، لا يكاد قميصها الحريري الأزرق يخفي مفاتنه.

قالت وهي تقبل خده:

– إنك بكرت بالحضور أيها الحبيب، فإنني شرعت في التو في ارتداء ثيابي.

فأجاب:

– أعلم أنني جئت مبكرا يا "**مارشا**" ...

قال ذلك بصوت أجش، ولم يكن يريده أن يكون كذلك. وسار إلى قاعة الاستقبال ولكنه ظل واقفا.

كان رجلا قوي البنية، قد وخط الشيب سوالفه.

وتبعته "**مارشا**" وقالت وهي تبتسم:

– لن أتأخر طويلا.. فلا تتعجلني.

فاستدار ليواجهها وقال في هدوء:

– إنني أنتظر هذه اللحظة منذ بضعة أيام.. وسأقول لك ما أريد ببساطة وإيجاز.

فتلاشت الابتسامة عن شفتيها وهتفت قائلة:

– أحقًّا..؟

– نعم.

وكان مفتاح الشقة لا يزال في يده فوضعه على مائدة القهوة واستطرد قائلا:

– إنني لن أجيء إلى هنا مرة أخرى يا "**مارشا**".. هذه هي الزيارة الأخيرة.

فرمقته بنظرة حادة، وقالت وهي تجلس على أحد المقاعد:

– هل اتخذت هذا القرار استجابة لدافع فجائي نبيل يا "**جورج**"..؟

– كلا.. إن خيانتي لزوجتي لم تزعجني في البداية.. ولكنها أزعجتني فيما بعد. وهو ما لا أستطيع فهمه.

– أظن أنني أستطيع.. الآن وقد شفيت زوجتك من مرضها فإنك تريد لحياتك الزوجية أن تعود إلى مجراها الطبيعي.

فاحمرً وجهه، وأجاب:

– لا ضرورة للسخرية يا "**مارشا**"، إنها تزيد الموقف صعوبة.. إن "**فلورنس**" لم تكن قط مريضة جثمانيًّا...

– طبعا.. طبعا.. ولكنها كانت مريضة عصبيا وعقليا – فيما أذكر – أليس كذلك..؟

– ذلك ما قلته لك.. ربما أكون قد أخطأت، إن "**فلورنس**" امرأة عاطفية.. وقد أصيبت بالانهيار عقب مشادة بيننا.. وأنا أشعر الآن بأنني مسؤول إلى حد ما عما حدث لها.

فقالت "**مارشا**" وهي تتفرس في وجهه:

– يا لنبل أخلاقك!

فاحمر وجهه مرة أخرى وصاح:

– لا تثيريني يا "**مارشا**"..

– وبعبارة أخرى.. أنت لا تزال تحب زوجتك.

ولما لم يجب على الفور استطردت قائلة:

– هل حدَّثت "**فلورنس**" عن علاقتنا..؟

فأشعل لفافة تبغ بقدّاحة تحمل الحروف الأولى من اسمه، وقال بعد أن استرد هدوءه:

– كلا.. لم أحدثها.. وليس في نيتي أن أفعل..

– ألا ترى أن شعورك الفجائي النبيل هذا لا محل له ولا مغزى..؟

– إنني لا أرى ضرورة لعرقلة شفاء "**فلورنس**".

فهزت رأسها ببطء... وتركزت عيناها على القدّاحة التي في يده وسألت:

- هل هي جديدة..؟

فقال وهو يضع القدّاحة في جيبه:

- نعم.

فنظرت في عينيه وقالت بلهجة لها مغزاها:

- هل هي هدية يا "**جورج**"..؟

فأجاب في خشونة:

- نعم.. هدية بمناسبة عيد ميلادي.. تلقيتها اليوم من "**فلورنس**".

فابتسمت ساخرة وقالت:

- ما ألطفها..!!

وصمت، وجاهد للسيطرة على مشاعره، ثم قال بعد أن استرد هدوءه:

- أنا آسف لهذا القرار الفجائي يا "**مارشا**".. ولن أقول إنني لم أستمتع بالعلاقة التي توثقت بيننا.. ولكني جئت الليلة وأنا واثق بأنك ستفهمينني وتقدرين موقفي.. إنني أريد أن ينتهي ما بيننا في هدوء..

- بهذه البساطة!! بعد كل هذه الشهور.. وبمناسبة عيد ميلادك، استيقظت مشاعرك النبيلة فجأة، وتجدد اهتمامك بزوجتك.

فأجاب بإيجاز:

- فسِّري الأمر كما تريدين.

فضحكت ضحكة خشنة ساخرة وقالت:

- قل الحقيقة يا "**جورج**".. قل إن زوجتك لا تهمك.. وإنما يهمك مجلس الإدارة الذي رشحت لعضويته، فلا تريد أن تكون لك علاقات تسيء إلى سمعتك وتعرقل انتخابك. ولذلك فالوداع يا "**مارشا**".

فاشتد احتقان وجهه وأجاب في إيجاز:

- إن ترشيحي لعضوية مجلس الإدارة لا علاقة له بما نحن بصدده. فقالت

بمزيد من السخرية:

– طبعا لا توجد علاقة..

ولكن ابتسامتها الساخرة تلاشت فجأة، ونهضت من مكانها وقالت وهي تعقد ذراعيها الناعمتين حول عنقه:

– لماذا يسيء كل منا إلى الآخر على هذا النحو أيها الحبيب..؟ لقد كدنا نتشاجر.. أنا واثقة بأن شعورك سيتغير غدا.

فخلص عنقه من ذراعيها بحزم وقال:

– أنا آسف، ليس في استطاعتي أن أستمر.

فانبعثت واقفة وصاحت وهي تتراجع خطوة إلى الوراء:

– حسنًا.. عد إلى "**فلورنس**" العزيزة..!! اذهب..! افعل أي شيء ولا تقف هكذا كالكلب الذليل.

وعصفت عبارتها الأخيرة بما بقي له من سلطان على نفسه، فأمسك بكتفيها بعنف وصاح:

– إنني لست كلبا..

فصاحت وهي تنتزع نفسها من قبضته:

– أبعد يديك عني.. وصفعته على فمه..

وكان رد الفعل سريعا ولا إراديا.. فقد هوى "**جورج**" بكفه على وجهها، فتقهقرت وتعثرت قدماها وسقطت على الأرض وارتطم رأسها بإحدى قوائم مائدة القهوة وكان للارتطام صوت مزعج... ولم تتحرك.

وأحس "**جورج**" بالدنيا تدور حوله.. وغشيت عينيه سحابة حجبت عنهما المرئيات.. ثم انقشعت السحابة واستقرت عيناه على الجسد الملقى تحت قدميه.

جثا على ركبتيه والعرق يتصبب من جبينه، ومد يداً مرتجفة إلى موضع القلب من صدر "**مارشا**".. ثم جس نبضها، وتفجرت الحقيقة في ذهنه.

لقد ماتت..! كانت الصدمة كافية لقتلها.

ونهض واقفا ببطء، وبدأت المرئيات تستقيم أمام عينيه.. ولكن أنفاسه ظلت تتلاحق وخُيِّل إليه أن رأسه سينفجر.

لقد ماتت "**مارشا**".. ماتت.. وهو الذي قتلها..!! وتتابعت أفكاره بسرعة..

إنه لطم "**مارشا**" برفق.. فسقطت وارتطم رأسها بالمائدة.. فالحادث إذن وقع بالقضاء والقدر.. ولكن هل سيصدقه البوليس، يجب أولا أن يغادر المكان.. ويخلو إلى نفسه ويفكر تفكيراً منطقيا. ولكن صبرا..

لا أحد يعلم أنه زار "**مارشا**" في تلك الليلة.. فإذا استطاع الخروج دون أن يراه أحد...

◆◆◆◆◆

وبعد ساعة.. كان يجلس في مشرب قريب من بيت "**مارشا**".. كان واثقا بأن أحدا لم يلمحه حين غادر الشقة أو حين خرج من البيت. وكان على يقين من أنه لم يترك في الشقة أثرا يدل عليه أو يرشد إليه.

وبالتدريج، ومع الشراب، ومزيد من الشراب، بدأ التوتر الذي شل أعصابه يزول.. ولكن عقله لم يكف عن التفكير..

لقد قتل "**مارشا**"، وسواء كان ذلك عمدا أو عفوا فهو قاتل وأدرك الحقيقة.. أدرك أنه لن يستطيع الانطواء على جريمته والاحتفاظ بسلامة عقله في وقت واحد معا.. يجب أن يصارح أحدا بما فعل.. أي أحد.. فيما عدا رجال البوليس.

◆◆◆◆◆

كانت "**فلورنس**" تشاهد التليفزيون عندما عاد "**جورج**". كانت امرأة نحيفة الجسم، ترتدي ثوبا بسيطا، ولها فم كبير لا يمت إلى الجمال بصلة، ولكن

بشرتها كانت ناصعة، وشعرها الذهبي كان معقوصا بطريقة جذابة..

قالت وهي تطفئ التليفزيون:

– يبدو أن عملك لم يستغرق وقتًا طويلا.

فلم يجب، وتناول إحدى الصحف المسائية.. ونشرها أمامه.. وفي لحظة الصدق هذه.. عاوده التردد.

قال:

– لم يكن العمل كثيرا كما ظننت.

ونظر إلى عناوين الجريدة...

غدا سيحتل مصرع "**مارشا**" مكانا بارزا بين هذه العناوين وفجأة قال:

– "**فلورنس**"!!

– نعم.

ونظرت إليه، والتقت عيونهما.

فتردد مرة أخرى، ثم جمع أطراف عزيمته وتكلم.

قال:

– "**فلورنس**".. إنني لم أذهب الليلة إلى مكتبي.. إنما ذهبت لمقابلة امرأة تدعى "**مارشا كانون**"، كنت قد التقيت بها في إحدى الحفلات منذ ستة شهور.. عقب مرضك مباشرة.. وقد ترددت عليها مرارا بعد ذلك.

وأصغت إليه "**فلورنس**" في هدوء، ثم سألت:

– لماذا تقول لي ذلك يا "**جورج**"..؟

فقال بسرعة:

– لأني لم أرد لهذه العلاقة أن تستمر.. لأنني قلت ذلك لـ"**مارشا**" الليلة.. لأنني..

وصمت، ولم يجرؤ على إتمام كلامه.. وتصبب العرق من جبينه. ونظرت إليه "**فلورنس**" في هدوء ولم تتكلم..

قال ببطء وهو ينظر إلى الأرض:

– لأنها ماتت.. تشاجرنا فصفعتها فسقطت وارتطم رأسها بإحدى الموائد.. إنني قتلتها يا "**فلورنس**"..

فمرت على شفتيها ابتسامة باهتة وقالت:

– كلا يا "**جورج**".. لقد أغمى عليها فقط.. ولكنها اتصلت بي تليفونيا بعد انصرافك من شقتها.

فسري عنه، وأبرقت أسارير وجهه وصاح بصوت يجمع بين الارتياح والإنكار:

– أغمى عليها فقط..؟

– نعم.

– واتصلت بك..؟

– نعم.

فنظر إليها متسائلا وقال:

– إذن فقد كنت تعلمين.. منذ البداية..؟

فهزت رأسها وأجابت:

– كلا.. لم أعلم إلا حينما اتصلت بي. ثم ازدادت ابتسامتها شحوباً وقالت:

– مهما يكن من أمر فقد أحببتك دائما بإخلاص يا "**جورج**" وسأظل أحبك.. ثق بذلك.

فلم يفهمها، وأشعل لفافة تبغ ليخفي حيرته.. ثم قال:

– ماذا تعنين بقولك (مهما يكن من أمر)..؟

فأجابت:

– لقد ضايقها أنك تركتها مغمى عليها، ولم تحاول إسعافها فاتصلت بي، لتحدثني عن علاقتكما.. وقالت إنها ستتصل بالصحف غدا لتروي لها القصة

كاملة، وتلوث اسمك وسمعتك، وتقضي على كل أمل لك في عضوية مجلس الإدارة.

وصمتت، ونظرت إلى أصابعه وهو يعبث بالقدّاحة. ثم قالت:

– ولكني ما كنت لأسمح لها بأن تفعل ذلك.

فاحس "**جورج**" بطنين في أذنيه..

نظر إلى زوجته، ورأى في عينيها نظرة استسلام. فتناول يدها وصاح:

– "**فلورنس**".. لا شك في أنك..

– لم يكن بوسعي أن أدعها تدمرك.. فذهبت إليها وحاولت أن أثنيها عن عزمها.. ولكنها كانت تتميز غيظا وحنقا فلم تصغ لي.

وصمتت، وبللت شفتيها بلسانها واستطردت قائلة:

– وكنت قد أخذت مسدسك لاستخدامه فيما إذا رفضت.. فأطلقت عليها الرصاص ثلاث مرات..

◆◆◆◆◆

ومرة أخرى، راح "**جورج**" يفكر بسرعة:

كان واثقا بأن أحدا لم يلمحه حين غادر شقة "**مارشا**". ترى هل شاء الحظ الحسن أن يحدث مثل ذلك لـ"**فلورنس**"..؟

وقرأت ما يدور بخلده، فقبلته وقالت:

– لا أظن أن أحدا قد رآني.. ومع ذلك فقد فات الأوان أيها العزيز.

– ماذا تعنين..؟ إذا لم يكن هناك من رآك فإن..

فاشارت "**فلورنس**" إلى القدّاحة وقالت:

– كانت فاتورة القدّاحة في حقيبتي.. ومن المؤكد أنها سقطت في الشقة حين أخرجت المسدس من الحقيبة.. ولكني لم أفطن لذلك إلاّ منذ عشر دقائق. وقد فات الأوان الآن للعودة لاستردادها.

– ولكن الفاتورة ليست دليلا.. وبوسعنا التخلص من المسدس.. ولكنها أسكتته بإشارة من يدها وقالت:

– لا فائدة يا "**جورج**".. سيكون هناك تحقيق وتحريات وأسئلة، هل تظن حقًّا أنني أستطيع مواجهة كل ذلك..؟

فارتسم الألم في عيني "**جورج**" وهو ينظر إليها..

كلا.. إنها لا تستطيع.. ولا هو يستطيع..

وكان لا يزال ينظر إليها.. حين جاء رجال البوليس.

تمّت بعون الله

أجاثا كريستي

☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

☐ بيع من كتبها أكثر من **650** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953-38-183-6
9 789953 381831